مرتكزات الإخاء والسلام العالمي في الإسلام

إعداد

د. أيمن فايز كمال عطا الله

مدرس بقسم الثقافة الإسلامية

بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

مرتكزات الإخاء والسلام العالمي في الإسلام
دراسة تأصيلية

أيمن فايز كمال عطا الله

قسم الثقافة الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر الشريف، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: aymanatalla.13@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

قصدت من إعداد هذا البحث استخلاص المنطلقات والركائز الوجدانية والعملية والفكرية التي اعتمدها الإسلام لصناعة إخاء إنساني، وإقامة سلام عالمي يأمن الناس في ظلاله على أموالهم وأرواحهم، وخصوصياتهم الثقافية والدينية، وذلك بعد أن أصيبت البشرية بداء العنصريات البغيضة، وطمع القوى الكبرى في فرض مشاريع الهيمنة والاحتكار الاقتصادي والثقافي، وما خلفه ذلك الداء من حروب أزهقت الارواح، وأراقت الدماء، وأفسدت الموارد، وقطعت ما بين الأسرة الإنسانية ذات الرحم الواحدة من أواصر التراحم، وعناصر التقارب. وقد اعتمدت في هذ البحث على المنهج التكاملي بما يستلزمه من: (استقراء - تحليل - استرداد) كما انتهيت من خلال البحث إلى نتائج أهمها: تقرير الإسلام لحق الشعوب في الخصوصية الدينية والثقافية واعتبار ذلك التنوع سبيلًا للتكامل البشري. وأن الخصومة باسم الأديان، والاقتتال تذرعًا بها مما يتنافى مع مقاصدها وأهدافها العامة في دعوتها للرحمة، وسعيها لتحقيق مصالح الإنسان وأمنه. وأن نزعة التفكير توجه دخيل على الإسلام وفكره لا يمثل شيئًا من صميم ذلك الدين ولا معبرًا حقيقيًا عن جوهر رسالته، ثم أوردتُ بخاتمة البحث عدة توصيات كان منها: "إنشاء مؤسسة عالمية مشتركة لمتابعة الدعوات العنصرية؛ وملاحقتها والتصدي لتفكيك ما يدعيه أصحابها من عناصر علمية، وذلك قطعًا للطريق على ما من شأنه تعزيز شعور الكراهية بين البشر، وتهديد أمنهم وسلمهم العالمي، وكذلك إعطاء أولوية لترجمة أهم المؤلفات التي صنفها علماء المسلمين لشرح مقاصد الإسلام العليا إلى اللغات الحية".

الكلمات المفتاحية: الإخاء، السلام، المرتكزات، الموارد.

The foundations of brotherhood and world peace in Islam an original study

Ayman Fayez Kamal Atallah

Department of Islamic Culture, Faculty of Islamic Call, Al-Azhar University, Cairo, Arab Republic of Egypt.

Email: aymanatalla.13@azhar.edu.eg

Abstract:

Preparing this research, I intend to extract the emotional, practical and intellectual premises and pillars that Islam adopted to make human brotherhood, and to establish a global peace that would secure people in its shadows over their money and lives, and their cultural and religious privacy, after humanity was infected with the disease of hateful racism, and the greed of major powers to impose projects of domination and economical and cultural monopoly and what left behind by that disease of wars that claimed lives, shed blood, spoiled resources, and sever the bonds of compassion and elements of rapprochement between the human family with one womb. In this research, I have relied on the integrative approach, including what it requires of: (induction - analysis - retrieval(I also concluded through the research to the most important results: Islam's determination of the peoples' right to religious and cultural privacy and considering that diversity as a way of human integration. And that rivalry in the name of religions, and fighting under the pretext of it, which contradicts its general purposes and objectives in its call for mercy, and its quest to achieve human interests and security. And that the tendency to think is an alien approach to Islam and its thought does not represent anything from the core of that religion or a true expression of the essence of its message. Then, I made several recommendations at the conclusion of the research, including: “Establishing a joint global institution to follow up on racist calls pursing them, fighting them to dismantle what they claim as scientific elements. This is in order to cut off the road to what would enhance the feeling of hatred among humans, and threaten their security and world peace, as well as giving priority to translating the most important literature classified by Muslim scholars to explain the supreme purposes of Islam into living languages.

Keywords: Fraternity, Peace, Foundations, Resources


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين، وخاتم النبيين والمرسلين، سيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى آلة وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا ينكر أحد قيمة ما بلغه الإنسان من ثورة علمية ومعرفية أمكنته من اختراق الفضاء كالطير الصافّات، والغوص في البحار كالأسماك السابحات، وأعانته على كشف نواميس المادة وقوانينها، ومن ثَمّ على تطويعها وتسخيرها لإشباع حاجاته المادية، حتى بلغ من ذلك مبلغًا حمله في بعض أحيانه على الغرور بعقله، والزهو بما ملك من قوة.

لا يماري أحد في هذا الذي وصل إليه الإنسان في الجانب المادي، وإنما الذي انتفض العقلاء والمنصفون للتحذير منه هو ذلك الاستخدام السيئ لتلك القوة المادية الهائلة في البطش، والجبروت، وعدوان الأقوياء على الضعفاء، وتهديد الأسرة البشرية في أمنها واستقرارها، حتى لقد رصد العالم اليوم الجزء الأكبر من دخله العام لتمويل الحروب، والإنفاق على التسليح لتحقيق المطامع المادية، بدلاً من إنفاق ذلك العائد على إطعام الجائعين، وإسعاف الفقراء والمكروبين، وتأمين الخائفين.

هذه الأطماع المادية الجارفة، وما أشعلته من نار الحروب بين البشر، وتلك العنصريات البغيضة التي أصابت عالم اليوم حتى قطّعت ما بينه من أواصر القربى، وعناصر التقارب والاتحاد، هو ما استدعى ضرورة الكشف

عن الملامح العامة والأطر الكلية، التي جاء بها الإسلام -الذي جعله الله رحمة للعاملين- وانطلق منها لصناعة إخاء إنساني، وإقامة سلام عالمي يأمن في ظله الأفراد، وتطمئن في رحابه الجماعات البشرية على حياتها، ومصالحها وخصوصياتها الدينية والثقافية، وتتكامل تحت لوائه الملكات البشرية، وتتعاون لخدمة الإنسان باعتباره إنسانًا، دون النظر لاختلاف الدين أو العرق.

لهذا الغرض أتى هذا البحث منتظمةً عناصره تحت عنوان: مرتكزات الإخاء والسلام العالمي في الإسلام.. والرجاء في الله كبير أن يحقق هذا البحث ما دار لأجله، وأن يهتدي إلى ما قصد إليه في غير إفراط ولا تفريط. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

١. ما أفضت إليه تلك النظريات العنصرية في جانبها الفكري من إثارة الشعور بالكراهية والعداوة بين البشر، حتى قسمتهم إلى أعراق وأجناس مختلفة في القيمة، متباينة في الفضل والكرامة.

٢. تلك الأطماع الاستعمارية التي ابتليت بها البشرية اليوم، وما آل إليه أمرها من عدوان الأقوياء على الضعفاء تحقيقًا للمصالح العاجلة، وهو ما ترتب عليه بالضرورة سفك للدماء، وإزهاق للأرواح، وإفساد الموارد ما يستلزم بذل الجهد في التنبيه على مخاطر تلك المشاريع؛ ورسم ملامح الأطر العامة لإقامة عيش مشترك ينعم الإنسان في ظلاله بالأمن والسلام العالميين.

٣. الإسهام في تقديم الصورة الحقيقة لجوهر علاقة الإسلام بالمخالفين، تلك العلاقة القائمة على التعاون على البر، والتصالح على تحقيق خير الإنسان باعتباره إنسانًا دون النظر لاختلاف الدين، والعرق وغيرها من روابط استغلها البعض لتقطيع ما بين البشرية من أواصر المحبة.

٤. استخلاص مجموعة من المعايير والمنطلقات يمكن على ضوئها استفراغ الوسع في اختيار الوسائل المناسبة، والأيات اللازمة لتيسير إقامة ذلك الإخاء الإنساني المرجو، وإقامة ذلك السلام العالمي المنشود.

٥. لعل فيما يطرح من منطلقات وركائز يسهم في كشف عوار تلك الدعوات العنصرية، والأيدولوجيات الضيقة التي تدعم العنف من جانب، وتستند إليها تلك المشاريع الاستعمارية التوسعية من جانب أخر

مناهج البحث:

١. **المنهج الاستقرائي**: وهو المنهج الذي ينتقل فيه الباحث من الجزء إلى الكل ومن الشواهد الجزئية إلى الحكم الكلي، ويسير فيه الباحث متدرجًا في التعميم؛ حتى يصل إلى حكمٍ عام، وهو يقوم في كلّ خطواته على الملاحظة والتجربة والاستقراء، ويعتمد في الأساس على المقابلات والاستبيانات والإحصائيات[١]. فهو المنهج الذي يتتبع

(١) ينظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام: د. علي سامي النشار، ص ٣٤٩، ط٣:

الباحث فيه الجزئيات للانتقال إلى الكل والعام..

٢. **المنهج التحليلي النقدي**: وهو المنهج الذي يقوم على وصفٍ منظّم ودقيقٍ لمحتوى نصوص مكتوبة أو مسموعة، من خلال تحديد موضوع الدراسة وهدفها، وعادةً يتمّ تحليل المضمون ونقده من خلال الإجابة على أسئلة محدّدة سابقًا(١). وكل ذلك بهدف الوصول إلى أطروحات مناسبة وواقعية لعلاجِ مشكلةٍ ما، أو وضع حلٍّ مناسب لأزمةٍ معينة.

٣. **المنهج الاستنباطي**: وهو ذلك المنهج "الذي ينتقل من المبادئ الكلية إلى الجزئية، ومن القوانين العامة إلى الأحكام الفرعية دون اللجوء إلى التجربة"(٢).

خطة البحث:

جاء هذا البحث منتظمًا في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها بيان لأسباب اختيار الموضوع وأهميته، ومنهج البحث.

١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، دار النهضة العربية - بيروت، ومنهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام: د. حلمي عبدالمنعم صابر، ص٦٣، سلسلة دعوة الحق، السنة السادسة عشر، العدد: ١٨٣، رابطة العالم الإسلامي- مكة المكرمة ١٤١٨هـ.

(١) مناهج وأساليب البحث العلمي (النظرية والتطبيق): د. ربحي مصطفى عليان، ود. عثمان عثمان محمد غنيم، ص٤٨، ط١/ ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن.

(٢) البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة: د. عبد الله سمك، ص١٠٢، ط١/ ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

التمهيد: وبه التعريف بعنوان البحث.

المبحث الأول: المرتكزات الوجدانية للإخاء والسلام العالمي

المطلب الأول: وحدة النسب

المطلب الثاني: وحدة الدين

المطلب الثالث: تجريم الإساءة للأديان

المبحث الثاني: المرتكزات الفكرية للإخاء والسلام العالمي

المطلب الأول: التصدي للعنصريات

المطلب الثاني: إغلاق باب التكفير وتفويض الحكم على العقائد لله تعالى

المطلب الثالث: تجريم الاحتلال وتقرير حق الشعوب في مقاومته

المبحث الثالث: المرتكزات الاجتماعية للإخاء والسلام العالمي

المطلب الأول: استبعاد الدين عن مجال الصراعات السياسية

المطلب الثاني: احترام الخصوصية الثقافية وتقدير قيمة التنوع

المطلب الثالث: شرعية التحالفات الدولية لتحقيق السلام

المطلب الرابع: عدالة الإفادة من الثروات الطبيعية

الخاتمة: وبها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

التعريف بعنوان البحث

يرد السلام في اللغة للدلالة على: السلامة، والاستسلام. وهو الاسم من التسليم. والسلامة من المرض البراءة منه. ومسالمة العدو: أخذه بالسلْم. وفلان سلِم لفلان وحرب له.[1]

وللسلام في الاصطلاح اتجاه نفسي تربوي، وأخر اجتماعي سياسي، حيث يرد في الأول بمعنى سلامة النفس من الاضطراب والحيرة والخوف، أو هو" تجرد النفس عن المحنة في الدارين"[2]

أما معناه السياسي فهو: الحالة التي تقوم بين الدول من حيث عدم اشتراكها في أية حرب، أو إنهاء الحروب بينهما. وليس السلم الحقيقي مجرد عدم وجود خصومات قائمة، بل ينطوي على استقرار النظام.[3]

هذا وربما فرق بعضهم في هذا الاتجاه بين التعايش السلمي الذي

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ت٣٩٨هـ)، ج٥، ص١٩٥١، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا. وكذلك: أساس البلاغة للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ج١،ص٤٧١، ط١، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، علم ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(٢) معجم التعريفات، للشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، ص١٢٣،ط٢، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م

(٣) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. أحمد زكي بدوي، ص٣٠٨، ط١ مكتبة لبنان، بيروت،١٩٧٨

يتضمن في معظم الحالات دلالة وجود عداء دفين والتعاون السلمي: الذي يتضمن مجهودات لتحقيق أهداف مشتركة، وتسوية الخلافات على أساس العدالة"[(١)]

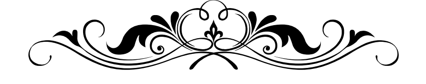
وعلى كل فإن ما نعنيه بالمعنى الإجمالي من عنوان البحث الموسوم بـ"مرتكزات الإخاء والسلام العالمي في الإسلام" هو: تلك المنطلقات التي يعتمدها الإسلام لتحقيق الأمن الإنساني العام في جانبيه الوجداني والعملي، أو بمعنى آخر: تلك المنطلقات الشعورية والعملية التي يعتمدها الإسلام، ويرتكن إليها في تحقيق الأمن الوجداني والعملي لتلك الأسرة البشرية ذات الرحم الإنسانية المشتركة.

وإنما اقترن الإخاء بالسلام؛ لئلا يكون الدافع إلى ذلك السلام هو المصلحة المادية وحدها، تلك المصلحة التي تجد البشرية نفسها مضطرة إليها بعدما طالعت وتطالع ما يصيبها من ويلات الحروب، ومخلفات العنصريات، بل لينضم إلى رابط المصلحة المادي ذلك الرابط الوجداني القائم على الشعور بالأخوة الإنسانية العامة، خاصة وإن ذلك الرابط الوجداني هو صمام الأمان في حراسة تلك المصلحة المادية حتى لا تفضي بأصحابها إلى الأثرة وتحقيق الأطماع من ناحية، كما أنه هو المعبر الحقيقي عن جوهر الإنسان وتميزه بذلك الجانب الروحاني المشرق عن سائر المخلوقات من ناحية أخرى؛ تلك المخلوقات التي يكفي في انتظام أمرها،

---

(١) معجم المصطلحات السياسية والدولية، د. أحمد زكي بدوي، ص١٠٥، طبعة أولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م

وإشباع حاجاتها اعتمادها على الروابط المادية وحدها، دون حاجتها إلى ذلك الوازع الوجداني الشعوري المعبر عن الإرادة الحقيقية، والاختيار الحر لذلك الإنسان الكريم على الله.



مدخل بين يدي المباحث الثلاثة

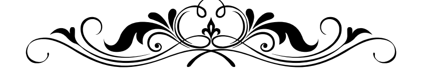
لعل من المفيد إيضاح ما يمكن طرحه من تساءل حول علة تقسيم المرتكزات في مباحثها الثلاثة على هذا النحو:" وجدانية - فكرية - اجتماعية" واختيار عناصر محددة لكل تقسيم؛ ذلك أن هذا التقسيم ليس تقسيمًا حديًا يستلزم ضرورة وجود حدود فاصلة بين كل تقسيم وآخر، بحيث يستقل كل منها عن نظيره استقلالًا تامًا، وإنما هو تقسم إجرائي لا ينفي وجود نوع من التداخل بين تلك التقسيمات، بحيث يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به، وإنما اعتمدت هذا التقسيم الإجرائي من باب الغلبة على ما يتعلق بكل قسم.

فالمرتكزات الوجدانية يغلب عليها ارتباطها بما هو داخل في النفس، ومستقر بالفطرة ولو بغير برهان أو دليل؛ إذ التدين والشعور الفطري بالأخوة الإنسانية، والغيرة على المعتقد هي كلها أمور فطرية وجدانية ينتفض الإنسان لحمايتها ويغضب على من يحاول النيل منها.

وكذلك المرتكزات الفكرية قد غلب عليها تعلقها بجانب التصور المعرفي، وإن ارتبطت هنا بالتصور في جانبه السلبي، مما يترتب عليه سلوكيات غير مرضية. فالتوجه العنصري، وانتهاج مسلك تكفير الآخرين، والرغبة في الاحتلال والتوسع، كلها يحمل عليها الفكر الخاطئ ولا شك.

أما المرتكزات الاجتماعية فهي ما غلب عليها ارتباطها بالنشاط الخارجي للإنسان، وضرورة وجودها لتنظيم صلات ذلك الإنسان الظاهرة بالناس من حوله. فهو تقسيم إجرائي اهتديت إليه للعلة التي ذكرتُ، فإن

وفقت في هذا فالله الحمد والمنة، وإلا فهو ليس تقسيم حديًا ملزمًا، وعلى ضوء هذا البيان فلنتابع سير الدراسة في البحث على ما يلي:



المبحث الأول

المرتكزات الوجدانية للإخاء والسلام العالمي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وحدة النسب

المطلب الثاني: وحدة الدين

المطلب الثالث: تحريم الإساءة للأديان

المطلب الأول

وحدة النسب

بين الناس جميعًا، وإن اختلفت أجناسهم، وتباينت عقائدهم رباط مقدس، ذلك هو رباط الأخوة الإنسانية الذي يجتمع الناس معه على الانتساب لأب واحد ولأم واحدة، هما آدم، وحواء، اللذان جعلهما الله تعالى أصلا لذلك النوع الإنساني، وبث منهما رجالًا كثيرً ونساءً.

وتلك الرابطة النسبية الجامعة، وما يترتب عليها من شعور التآخي والتآلف هي التي أوصى الله عبادة بالقيام بحقها، وصيانة حرمتها، كما خوفهم من التنكر لها، وتجاهل مستلزماتها من التعارف وحسن التعايش.

يقول تعالى:{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**} [النساء:١].

ووحدة النسب بين الناس كلهم هي التي استأهلت وصاية الله بها، كانت كذلك هي الركيزة التي اعتمدها القرآن الكريم في رجاء تلك الأسرة الآدمية الكبيرة أن تستجيب لدعاة هدايتها، وقادة إصلاحها من الأنبياء والمرسلين من ناحية، وأن تحاذر من دعاة الفتنة والغواية من شياطين الإنس والجن من ناحية أخرى.

ففي القرآن الكريم: {**يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [الأعراف: ٣٥].

وفيه كذلك: {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٢٧].

ولعل من لطائف القرآن الكريم في هذا السياق -أنه لم يزل ينبه الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدعاة من بعده -وإن بشكل غير مباشر- إلى ضرورة استمالة قلوب الناس باستجاشة عواطف الأخوة العامة التي تجمع بينه وبين من يدعوهم للهدى، كما فعل ذلك السابقون من الأنبياء والمرسلين.

فكم ذكّر القرآن الكريم بذلك المبدأ في قوله: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [هود: ٥٠]،{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [هود: ٦١]، { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} [هود: ٨٤].

والتذكير هنا إنما هو بالأخوة النسبية البعيدة. "قَالَ الزَّجَّاجُ، قِيلَ فِي الأَنبياء أَخوهم وإِن كَانُوا كَفَرة، لأَنه إِنما يَعْنِي أَنه قَدْ أَتاهم بشَر مِثْلُهُمْ مِنْ وَلَد أَبيهم آدَمَ، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَهُوَ أَحجُّ"(١)

وكما ذكّر القرآن الكريم بذلك الرباط النسبي المقدس، وانطلق منه في الدعوة للتراحم العام فقد كان رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حريصًا هو الآخر على أن يجعل منه منطلقا لسد منافذ الصراع والفرقة بين أبناء البشرية، بسبب التعصب للقوميات والأعراق، كما اتخذه أساسًا لتأصيل لحقوق إنسانية

(١) لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، ج١٤، ص٢٠

متساوية.

فلقد كان من وصاياه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا»[1].

وفي حجة الوداع التي اجتمع فيها بين يديه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما يزيد عن المائة والعشرين ألفًا من البشر كان يقول: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ"[2]

ثم يقرر الحقوق العامة بقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»[3].

لقد كانت قناعة الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن النسب الواحد بين البشرية يستلزم التساوي بين الجميع في الكرامة والحقوق دون اعتبار لعرق أو لون، ولذلك لم يجد غضاضة أن يكون مؤذنه بلالًا الحبشي، وسفيره صهيبًا الرومي، ومستشاره سلمان الفارسي!

فوحدة النسب بين البشرية التي قررها الإسلام كانت وما زالت مضخة الإطفاء العاجلة لنار العداوة التي تشعلها العنصريات البغيضة، والقوميات القاتلة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ، رقم: ٦٠٦٥

(٢) مسند الإمام أحمد، أَحَادِيثُ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، برقم: ٢٣٤٨٩

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الحج، باب: الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى، رقم: ١٧٤١

المطلب الثاني

وحدة الدين

كما تجمع بين الناس رابطة الإخوة الواحدة، تجمع بينهم كذلك رابطة دينية واحدة، ذلك أن الرسالات جميعها قد اجتمع لها أمران من شأنهما إقامة حياة إنسانية موحدة في إطار من التعاون والتراحم، هذان الأمران هما: وحدة المصدر، ووحدة الغاية والهدف.

١- وحدة المصدر: فالرسالات كلها مصدرها واحد، والأنبياء كلهم ينهلون من مشكاة واحدة، فجميعهم يتلقى عن الله وحده، ولذلك لم تختلف كلمة الأنبياء في أصول العقائد، وأمهات الأخلاق، وأركان العبادات، رغم التباعد بينهم في الزمان والمكان.

وقد أشار القرآن الكريم إلى وحدة مصدر الرسالات بقوله: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا } **[النساء: ١٦٣]**. وقال جل شأنه: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ الله يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} **[الشورى: ١٣]**.

وقد عزّز الأصل الواحد للرسالات اعتبار ملة (إبراهيم) عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي نقطة الانطلاق للرسالات السماوية الثلاث: اليهودية، والمسيحية، والإسلام.{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

[**النحل**: ١٢٣]. وقال جل شأنه:{ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}[**البقرة**: ١٣٠].

وكم دعا الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الناس للإيمان بهذه الإبراهيمية الحنيفية كما حكى القرآن بقوله تعالى: {قُلْ صَدَقَ الله فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [**آل عمران**: ٩٥]، وقوله: { قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [**الأنعام**: ١٦١].

ومن لطائف ما يذكر في التذكير بالأصل المشترك في الإيمان بملة (إبراهيم) أن الإسلام اختار الكعبة التي بناها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لتكون قبلة للناس جميعًا إلى أن يلقوا ربهم.

فلم تكن قبلة المسلمين باتجاه بيت بناه النبي محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للعبادة وإنما قبلتهم نحو البيت الذي بناه أبو الأنبياء (إبراهيم) للتوحيد من قبل، ولعل هذا ما يفسر شيئا من حكمة التعبير بكلمة (الناس) في آيات الحج الواردة في القرآن دون التعبير بكلمة (المسلمين) مثلًا، حيث جاء في القرآن: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [**آل عمران**: ٩٧]، { ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} [**البقرة**: ١٩٩]، {جَعَلَ الله الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ} [**المائدة**: ٩٧]، {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ الله وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ}[**الحج**: ٢٥].

فالرسالات إذن متحدة في مصدرها، وذلك الاتحاد هو ما جعل

التصديق بها جميعًا شرطا لصحة الإيمان، واعتبار التفريق بين الأنبياء والمرسلين بابًا للكفر والإلحاد. قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الله وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِي} [**النساء: ١٥٠**].

٢- وحدة الغاية والهدف: فكلما اتفقت الرسالات في مصدرها، اتحدت كذلك في مقاصدها وأهدافها العامة، وإن بقى الخلاف بينها سائغًا في بعض فروع التشريعات؛ تبعًا لتطور الحياة الإنسانية التي صادفتها كل رسالة من ناحية، ونظرًا لخصوصية بعض هذه الرسالات وعموم الأخرى من ناحية أخرى.

فالرسالات كلها قد دعت إلى توحيد الله وعبادته وفي ذلك يقول الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [**الأنبياء: ٢٥**].

واتفقت الرسالات كذلك في الدعوة لأمهات الأخلاق، وأصول العبادات. وفي مثل هذا يقول جل شأنه: {مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ} [**فصلت: ٤٣**]، ويقول: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا الله وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ} [**البقرة: ٨٣**].

ولقد صور النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - علاقة الأنبياء والرسالات ببعضها، من حيث تكميل بعضها لبعض، واتحادها في الغايات العامة بقوله: «الْأَنْبِيَاءُ

إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»[1]، وفي الحديث الآخر: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»[2].

وإذا كان سيدنا عيسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كان يقول:" لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل" (إنجيل متى: الإصحاح ٥: ١٧)

فإن سيدنا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[3].

فلم تكن علاقة الرسالات ببعضها علاقة نقض التالي للسابق مثلًا، أو هدم الآخر للأول، وإنما كانت علاقة إتمام وتكميل. ومن قرأ الوصايا العشر في التوراة مثلًا لا يجد بينها وبين الوصايا العشر في سورة الأنعام في القرآن خلافًا جوهريًا في المضمون.

ففي التوراة:" أنا هو الرب ألهك، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي: لا تنطق باسم الرب إلهك باطلًا: أكرم أباك وأمك: لا تقتل ولا تزن ولا تسرق ولا تشهد على قريبك شهادة زور، ولا تشتهي امرأة قريبك، ولا تشتهي بيت قريبك ولا حقله ولا عده ولا أمته، ولا كل مال قريبك" (تثنية الإصحاح: ٥:

(١) صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، رقم: ١٤٥

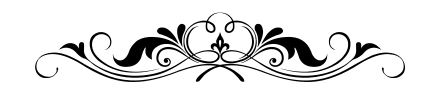
(٢) صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: خَاتِمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم: ٣٥٣٥

(٣) مسند البزار، مُسْنَدُ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رقم: ٨٩٤٩

(١-٢١)

هل هناك فرق بين مضمون هذه النصائح التوراتية، وبين ما جاء في قوله تعالى: { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } **[الأنعام: ١٥١- ١٥٢]**.

لقد كانت وحدة الرسالات من حيث مصدرها، ومن حيث أهدافها ومقاصدها مرتكزًا أساسًا لدعوة الإسلام لإقامة سلام عالمي بين أهل الرسالات جميعًا، ذلك أن الإسلام قد حوى ما في الأديان الأخرى وزيادة، ولن يجد أحد حرجًا لو ضم لإيمانه أخر حلقاته، وختام كلماته التي جاء بها نبينا محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .



المطلب الثالث

تجريم الإساءة للأديان

نتج عن تقدير الإسلام للرسالات السماوية جميعًا، واقراره لوحدة مصدرها وأهدافها، تجريمه لغمز الأديان بسوء؛ ذلك أن الإساءة للأديان باب كبير يلج منه تجار الحروب لإيقاد نار العداوات بين الناس، طمعًا في تحقيق المصالح العاجلة.

ثم إن الدين هو أغلى ما يعتز به الإنسان، ولا يحتمل أن يغمزه فيه أحد، وإلا انتفض دفاعًا عنه، وانتصارًا لعقائده، سواء كان ذلك الدين حقًا أو باطلًا. ولذلك عمل الإسلام على إغلاق هذا الباب بتجريمه سب الأديان والتطاول عليها. وفي ذلك جاء النهي القرآني: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [**الأنعام: ١٠٨**]. وقد عاب الله- تعالى- صنيع الذين عمدوا إلى الدين للإساءة إليه بغرض إضلال أصحابه وفتنتهم فيه. قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [**آل عمران: ٧٢**].

هذا ولعل من وجوه الحكمة من تشريع حد الردة هو رغبة الإسلام في سد منافذ الإساءة للأديان والتلاعب بها؛ وإلا فما السبيل لردع أولئك الذين يتعمدون الإيمان بدينٍ ما أول النهار والكفر به في آخره، لا لشيء إلا لإفساده على أصحابه، وانتقاص هيبته في نفوسهم؟!

ولم يكتف الإسلام بتحريم سب الأديان وغمزها، بل أظهر مع ذلك من

وجوه تقديرها ما جعله يأذن لأهلها بممارسة شعائرهم داخل أرضه، بل حتى داخل دور المسلمين، كما هو الشأن مع الزوجة الكتابية عند زوجها المسلم.

جاء في بعض كتب السادة المالكية فيما يتعلق بشأن الزوجة الكتابية ما نصه:" لا يجوز له إكراهها على ما لا يحل لها في دينها، كما لا يجوز له منعها من التوجه إلى نحو الكنيسة أو من شرب خمر أو أكل خنزير".(١)

ثم إنه هو الإسلام الذي عمل على صيانة دور العبادة لغير المسلمين، ولم يجد حرجًا في مد أصحابها بما يحتجون إليه من مال ونحوه لترميمها وتجديدها. فقد نصت معاهدة الرسول - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- لنصارى نجران على أن" لهم إن احتاجوا في مرمّة بيعهم وصوامعهم، أو شيء من مصالح أمورهم ودينهم، إلى رفد من المسلمين وتقوية لهم على مرمّتها، أن يرفدوا على ذلك ويعاونوا، ولا يكون ذلك دينا عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول الله موهبة لهم، ومنّة لله ورسوله عليهم".(٢)

الواضح إذن أن الإسلام بنهيه عن الإساءة للأديان، وعمله على احترام الشعائر الدينية كان يتتبع منافذ الصراع لإغلاقها، سعيًا إلى تقوية دعائم الوفاق والسلام بين الناس جميعًا.

---

(١) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج١، ص٣٠٧

(٢) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، المؤلف: محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، الناشر: دار النفائس - بيروت، الطبعة: السادسة - ١٤٠٧، ص١٨٩

المبحث الثاني

المرتكزات الفكرية للإخاء والسلام العالمي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التصدي للعنصريات

المطلب الثاني: إغلاق باب التكفير وتفويض الحكم على العقائد لله تعالى

المطلب الثالث: تجريم الاحتلال وتقرير حق الشعوب في مقاومته

المطلب الأول

التصدي للعنصريات

لا شك أن الفكرة تسبق الحركة، وأن السلوكيات هي تعبير عن جملة التصورات، ولما كان التصور العنصري والعرقي بابًا من أبواب الفتنة والشرور فقد جاء الإسلام لسده، والتحذير من مخاطره.

وقد اعتبر الإسلام في هذا السياق أن الناس كلهم سواسية في الكرامة، ليس فيهم عرق أزكى من آخر، ولا دم أشرف من سواه، فكلهم في تكريم الأصل الإنساني سواء، دون اعتبار لدين، أو لون، أو عرق، يقول تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } **[الإسراء: ٧٠]**.

وحين جاء الإسلام وقد وجد العنصريات هي أكبر فتيل يشعل لإقامة الحروب التي تهلك الحرث والنسل، صدع بقوله: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»[١]

كما اعتبر الإسلام الاستجابة لموقدي نار الحرب اعتمادًا على تزكية التعصب للقوميات، اعتبره نوعًا من الارتداد عن الدين، وتلبسًا بعمل الكافرين. قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} **[آل عمران: ١٠٠]**

وسبب الآيات أن أحد اليهودَ مرّ بمجلس للمسلمين، فاغتاظ لهذا

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب: الأدب، باب: في العصبية، رقم: ٥١٢١

الاتحاد في رحاب الإسلام، وراح يذكّر القوم بما كانوا عليه من حروب قبل الإسلام. فمال البعض إلى حديثه، حتى استفرغ كل فريق منهم عصبيته، وكاد الدم الزكي أن يسفك، لولا أن أطفأ الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تلك الشرارة بتذكيرهم بفضل الله عليهم بالإسلام الذي جنبهم آثار تلك الحروب ومخلفاتها، وقد كان من قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لهم في ذلك:" الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهُرِكم بعد إذْ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارًا؟[1]

وليس في ذم الإسلام للعصبية والعنصرية ما يتنافى مع الاعتزاز الوطني والقومي متى كان ذلك الاعتزاز مادة للدفاع عن الوطن والعشيرة في الحق، وإنما الذي استنكره الإسلام أن يكون ذلك الاعتزاز والانتساب ذريعة لاحتقار الأخرين، مما قد يحمل على العدوان عليهم، وحرمانهم حقهم في العيش والكرامة.

وهذا التمييز بين الأمرين هو ما عمل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على بيانه حين وجد المبدأ السائر" انصر أخاك ظالما أو مظلومًا"، فنبّه أن نصرة الظالم إنما تكون بالأخذ على يديه، ورده عن ظلمه، وليس كما كان يفعل أهل العصبيات والقوميات من نصرة الظالم بإعانته على ظلمه والوقوف بجواره لكونه قريبًا أو نسيبًا. وفي الحديث: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج٦، ص٥٦

رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»[١]

وقد حدد النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المعنى المذموم من العصبية حين سئل "مَا الْعَصَبِيَّةُ؟ قَالَ: «أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ»[٢]

فالإعانة على الظلم باسم العصبية هي الشيء المذموم، أمّا أن يعين الإنسان قومه وأهل وطنه على الحق، ويساندهم في دفع الشر والأذى، فذلك ما قال فيه - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «خَيْرُكُمُ الْمُدَافِعُ عَنْ عَشِيرَتِهِ، مَا لَمْ يَأْثَمْ».[٣]

هذا ومما يؤسف له أن دعوات العنصرية القديمة لم يكف ما أصاب البشرية من شرها حتى امتددت آثارها لتجد لها صدى في ميدان الفكر والمعرفة، لدرجة أن استباحت بعض الأقلام لنفسها أن تؤصل لنزعات العنصرية البغيضة باسم العلم تارة، أو باسم الدين تارة أخرى، وكان من ثمار ذلك أن نادى بعضهم بـ" صدام الحضارات"، وكتب الأخر عن" نهاية التاريخ" اعتمادا على نظريات عنصرية قومية ينتصرون فيها للحضارة الغربية، معتبرين إياها النموذج الوحيد الذي يجب فرضه على العالم، دون اعتبار للخصوصيات الثقافية والحضارية للشعوب الأخرى. وستظل البشرية تتجرع مرارة تلك الكتابات العنصرية إلا أن تهتدي لما أقره الوحي ودعا إليه من الانطواء تحت راية الأخوة الإنسانية الجامعة ورابطتها العامة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، رقم: ٦٩٥٢

(٢) سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: فِي الْعَصَبِيَّةِ، رقم: ٥١١٩

(٣) سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: في العصبية، رقم: ٥١٢٠

المطلب الثاني

إغلاق باب التكفير وتفويض الحكم على العقائد لله تعالى

لما أقر الإسلام حرية التدين، ونهى عن الإكراه على العقائد، كان من الطبيعي رفضه الاتخاذ من الخلاف العقدي، والخصوصية الدينية ذريعة للخصومة، ومادة للنزاع، وسبيلًا للتنابذ بألفاظ التكفير، والقذف بعبارات التضليل، لما يترتب على ذلك من إثارة الأحقاد، لاسيما وقد قال - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»(١)

ومما يؤكد رفض الإسلام لرمي المُخالِف بالكفر ما يلي:

١- الممارسة التطبيقية لرسول الإسلام - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - في دعوته المخالف في الدين، حيث لم يحفظ عنه عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في مجال الدعوة أنه خاطب أحدًا من غير المسلمين بقوله:"يا كافر"، بل كان تقديره واحترامه للمخالف يتجاوز مناداته باسمه المجرد إلى مناداته بكنيته أو لقبه!

فها هو صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يخاطب عُتبة بن ربيعة- وقد جاء مساوما الرسول على ترك دينه ودعوته- بقوله: " أفرغت يا أبا الوليد " !

وقد كان يدعو أبا جهل بأبي الحكم كما يناديه أتباعه ورفاقه من

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ، رقم: ٦١٠٤

المشركين.[1]

وقد خاطب كسرى الفارسي في رسالته إليه: "إلى كسرى عظيم فارس". وفعل ذلك في رسالته إلى هرقل: "إلى هرقل عظيم الروم"[2] !

خاطب الملوك غير المسلمين بهذه اللغة الراقية، ولم يتعمد إهانة أحد منهم لا في نفسه، ولا في عين أتباعه ورعاياه، ولم يناد أحدا منهم بالكفر، وإن كان معتقدا لكفره وجحوده الإسلام.

إن اكتشاف الطبيب لمرض أحد الناس لا يسوغ له أن يتخذ من ذلك المرض مادة لمناداته به، وإذلاله كلما رآه بقوله: " يا مريض" تاركا مناداته باسمه أو لقبه، بل على العكس واجب الطبيب أن يجتهد في التلطف مع مريضه، وأن يتخيّر من الألفاظ ما يحفزه على المعافاة، ويعينه على السلامة. وما يُطلب في علاج الأمراض العضوية يكون طلبه آكد في الأمراض الفكرية والعقدية؛ إذ هي أضر على الإنسان من الأولى بكثير.

٢- أن للفظة (الكفر) دلالة عقدية لا يقصد بها سوى التعبير عن عدم موافقة الآخر في الاعتقاد، لتنكره للدليل بعد بيانه، ورفض النزول على حكم البرهان بعد قيامه، وليس في دلالة الكلمة ما يتضمن معنى الإساءة

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ج١، ص١١، و السيرة النبوية لابن كثير، ج١، ص٥٠٧

(٢) انظر: سبل الهدى والرشاد،ج١١، ص٣٦٢، وص٣٤٥، وكذلك: السيرة النبوية لابن كثير، ج٣، ص٤٩٨

للمخالف، أو الذراية به، بل إن إيراد تلك اللفظة (الكفر) واستدعاءها بقصد هذا المعنى السلبي يوجب العقوبة في الإسلام، خاصة وقد نهى عن إيذاء غير المسلم بقول أو فعل.

جاء في البحر الرائق: "لو قال ليهودي أو مجوسي يا كافر يأثم إن شق عليه. اهـ".[(١)]

وفي مجمع الأنهر: " لَوْ قَالَ لِيَهُودِيٍّ أَوْ مَجُوسِيٍّ يَا كَافِرُ يَأْثَمُ إنْ شَقَّ عَلَيْهِ. وَقَالَ فِي الْبَحْرِ وَمُقْتَضَاهُ أَنَّهُ يُعَزَّرُ لِارْتِكَابِهِ مَا أَوْجَبَ الْإِثْمَ ".[(٢)]

بل ربما كان ما روى عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من قوله: «**مَنْ قَذَفَ ذِمِّيًّا حُدَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسِيَاطٍ مِنْ نَارٍ**»[(٣)]. مما يصح إيراده في هذا السياق

٣- إن ثقافة التكفير لم تكن أصلًا في بنية الثقافة الإسلامية، بل هي مما وفد على المسلمين، وطرأ عليهم نتيجة تأثرهم بالفكر المسيحي.

وقد نبه الإمام محمد عبده - رَحِمَهُ اللَّهُ - إلى هذه المسألة الدقيقة بقوله:

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي، سنة الولادة ٩٢٦هـ/ سنة الوفاة ٩٧٠هـ، الناشر دار المعرفة، مكان النشر بيروت، ج٥، ص٤٥

(٢) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي المدعو بشيخي زاده، سنة الولادة / سنة الوفاة ١٠٧٨هـ، تحقيق خرح آياته وأحاديثه خليل عمران المنصور، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، مكان النشر لبنان/ بيروت، ج٢، ص٣٧٢

(٣) المعجم الكبير للطبراني، باب: الواو، مَا أَسْنَدَ وَاثِلَةُ مَكْحُولٌ الشَّامِيُّ، عَنْ وَاثِلَةَ، رقم: ١٣٥

"لا أكاد أخطئ القارئ إذا زعم أن المسلم إنما استفاد اسم زندقة وتزندق ومتزندق وزنديق من فضل ما علمه جيرانه إذ كانوا يقولون: هرتقه وتهرتق وهو هرتوقي: أو ما يماثل ذلك - أو زعم أن قد فشت في المسلمين سرعة التكفير بطريق العدوى من أهل الملل المتشددة. وإن الذي سهل سيران العدوى بتلك السرعة الشديدة هو ضعف المزاج الديني عند المسلمين بجهلهم بأصوله ومقوماته، ومتى ضعف المزاج استعد لقبول المرض كما هو معلوم.[1]

إن إغلاق الإسلام لباب التكفير مبني على مبدئه الراسخ في تقرير حرية الاعتقاد من جهة، وضرورة تفويض الحساب على العقائد لله وحده من جهة، وقد صرح القرآن الكريم بهذا المبدأ في مثل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ الله يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} **[الحج: ١٧]**.

وكم نبه القرآن أن أحدًا لا يملك محاسبة الناس على ما في ضمائرهم، ولو كان الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نفسه، وقد خاطبه الله تعالى في أكثر من أية: {لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ} **[الغاشية: ٢٢]**، { وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} **[ق: ٤٥]**، { لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ} **[البقرة: ٢٧٢]**، {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} **[الغاشية: ٢٥، ٢٦]**، وغيرها من الآيات التي تقطع بأن شأن ما في الضمائر لا يحاسب عليه إلا الله تعالى، وحسب الناس في جانب

(١) الإسلام بين العلم والمدينة، المؤلف: الإمام محمد عبده، دار المدى للثقافة والنشر ٢٠٠٢، الطبعة الأولى ١٩٩٣

السلوكيات والتصرفات أن يحتكموا لما اتفقت عليه الرسالات من الأطر العامة لإقامة الحياة الآمنة، وذلك من نحو العدل، والسلام، والإخاء، والحرية.(١)

---

(١) ربما أورد البعض على القول بسعي الإسلام لإغلاق باب التكفير أن في القرآن الكريم آيات قد وردت بتكفير الآخر، لكن هذا الإيراد يجاب عنه بأمور:

١- أن ما جاء من القرآن الكريم من ذلك إنما ورد وصفًا، لا أمرًا، فليس في شيء من تلك الآيات الأمر بالتكفير، وقذف المخالف به على العموم.

٢- أن ما ورد في ذلك في القرآن إنما كان وصفًا لمحارب، وليس وصفًا لمجرد مخالف، ومن تتبع تلك الآيات، مع استحضار ملابسات نزولها يصل إلى تلك النتيجة دون مشقة، ففي الحديث عن يهود بني النضير - مثلًا - يجيء وصف الله لهم بقوله: { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ الله فَأَتَاهُمُ الله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ الله عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ(٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا الله وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ الله فَإِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الحشر:٢ - ٤]. وما كان من نقض اليهود للعهود، التي أبرموها مع الإسلام ورسوله لا يخفى.

وفي سياق الرد على المشركين المحاربين، الذين آذوا الرسول وأصحابه أيما إيذاء، بل وساوموه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يعبدوا وإياه الأصنام يومًا، ويعبدون جميعًا ربه يومًا آخر، في هؤلاء يرد قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } [الكافرون: ١ - ٦]

وهكذا بقية الآيات التي ورد فيها الوصف بالكفر، وإنم كانب تذكر بالكفر لكونه ذريعة للعدوان، وليس مجرد موقف عقلي، أو اختيار معرفي لا غير.

المطلب الثالث

تجريم الاحتلال وتقرير حق الشعوب في مقاومته

والحديث عن الاحتلال وآثاره يستلزم الإشارة إلى عدة نقاط:

النقطة الأولى: الآثار المادية والمعنوية للاحتلال:

الاحتلال هو نوع من العدوان، بل هو أكبر أنواعه، وأشكاله، ذلك أنه يجمع بين العدوان على الأفراد والأوطان جميعًا، ثم إنه يترتب عليه من الآثار السلبية مالا يكاد يترتب على غيره من الجرائم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما يترتب على الاحتلال من آثار بقوله تعالى: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ } [النمل: ٣٤].

والآية الكريمة تشير إلى نوعين من آثار الاحتلال: الأول: الأثر المادي، المتمثل في إفساد البنيان، وهو المشار إليه بقوله: {إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا}.وإفساد القرى يكون بتدميرها وتخريب عامرها، ونهب ثرواتها. والثاني: الأثر المعنوي المتمثل في إذلال الإنسان، وهو المشار إليه بقوله:

إذًا الحرابة وحدها هي التي استدعت الوصف بالكفر، أما عدا ذلك فإن القاعدة المضطردة في القرآن هي دعوة الناس جميعًا، وتذكيرهم برابطة الأخوة الجامعة، وخصائص الإنسانية العامة: {يَا بَنِي آدَمَ} [الأعراف: ٣١]، { يَا أَيُّهَا النَّاسُ} [البقرة: ٢١]، {أَيُّهَا الْإِنْسَانُ} [الانفطار: ٦]، {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ} [آل عمران: ٦٥]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} [النساء: ٤٧].

{وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً}. وإذلال الإنسان يكون بقهره، وحرمانه حريته، والعدوان على هويته وخصوصيته. ولعل في استعاذة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " من قهر الرجال" ما يشير إلى هذا الأثر السلبي الذي يتركه في النفس عدوان الأقوياء على الضعفاء، فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ "[(١)]

النقطة الثانية: تقرير الحق في مقاومة الاحتلال

نظرًا لهذه الآثار المادية والمعنوية للاحتلال والاستيطان قرر الإسلام حق الشعوب في مقاومة ذلك الظلم، وسوغ لها كل عمل مشروع لدفعه، قال تعالى: {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} **[الشورى: ٤١]**

وما زال القرآن الكريم يحض على مطاردة المحتلين الباغين بقوله: {وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ} **[البقرة: ١٩١]**

وما قرره الإسلام من حق الدفاع عن النفس والوطن إنما قرره للإنسان باعتباره إنسانًا، إذ لم يفرق في ذلك بين قوم وقوم، ولا بين مقدسات وأخرى، ذلك أنه قال:

{ وَلَوْلَا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ الله كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ الله مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} **[الحج: ٤٠]**

---

(١) سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: فِي الِاسْتِعَاذَةِ، رقم: ١٥٥٥

جاء في تفسير الإمام البغوي:" وَمَعْنَى الْآيَةِ وَلَوْلَا دَفْعُ الله الناس بعضهم ببعض لَهُدِمَ فِي شَرِيعَةِ كُلِّ نَبِيٍّ مَكَانُ صَلَاتِهِمْ، لَهُدِمَ فِي زَمَنِ مُوسَى الْكَنَائِسُ، وَفِي زَمَنِ عِيسَى الْبِيَعُ وَالصَّوَامِعُ، وَفِي زَمَنِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسَاجِدُ"(١).

فالإذن بمقاومة العدوان قديم وشامل للمسلمين وغيرهم، حتى لقد وعد الله – جل شأنه – في كل مله من بذل نفسه دفاعًا عن نفسه ووطنه بالخلود في الجنان.

يقول تعالى: {إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ الله فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} **[التوبة: ١١١]**

ولقدسية الدفاع عن الوطن، وضرورة العمل على حمايته، أمر الله تعالى بإعداد العدة، لإرهاب المتربصين به، والمحدثين أنفسهم بغزوه، فقال جل شأنه: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ الله يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ الله يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } **[الأنفال: ٦٠]**

إن الإسلام يقرر لأبناء الوطن الواحد، أن تتحد كلمتهم لرد العدوان

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ج٣، ص٣٤٢

الواقع بهم، وأن يكونوا على جاهزية كاملة لرد العدوان المتوقع عليهم. وهذا ما نص عليه النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الوثيقة الدستورية التي دونها في المدينة المنورة، حيث أشارت إلى ضرورة تعاون سكان المدينة ومواطنيها مسلمين وغير مسلمين على حمايتها، ودفع العدوان عنها. وكان من نصوص تلك الوثيقة:" وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ... وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ... وَإِنَّ بَيْنَهُمْ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ"[(١)]

النقطة الثالثة: مقاومة المحتل من مجرد الحق إلى مرتبة الوجوب

ومما يلفت النظر في سياق حديث الإسلام عن مقاوم المحتل أنه تجاوز مجرد الإذن بالمقاومة إلى مرتبة إيجابها، بحيث يصبح من لم يدافع عن وطنه - وهو قادر على ذلك - آثمًا شرعًا، حتى لقد اعتبر الإسلام التولي يوم زحف العدو من الكبائر المهلكات. ففي الحديث الشريف:" «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»[(٢)]

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، ج١، ص٥٠٤

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الوصايا، باب: قَوْلِ الله تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى

وقد عاب القرآن الكريم على أولئك الذين أمرهم نبي الله موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بالجهاد معه لمقاومة مَنْ استحوذ على بلاد آباءهم واستوطنها وحكى عنهم قولهم:

{إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} **[المائدة: ٢٢- ٢٤]**

كما استقبح القرآن واستعظم نكوص المنافقين عن معاونة الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه في مجابهتهم الأحزاب الذين حاصروا المدينة المنورة، وأرادوا دخولها عنوة وبغيًا، استقبح منهم هذا حتى قال في شأنهم: {وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا} **[الأحزاب: ١٤]**

يعني لو دخلت عليهم المدينة من أطرافها وجنباتها، ثم سئلوا الفتنة لسارعوا في إعطائها، سواء كان المقصود بالفتنة الكفر والردة، أو قصد بها كشف أسرار المدينة، والدلالة على ثغورها.

النقطة الرابعة: وجوب مساندة المستضعفين

في سياق التحريض على مقاومة المحتل، أهاب الإسلام بكل حر

ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}، رقم: ٢٧٦٦

وشريف أن يكون سندًا للمستضعفين، وأن يمد لهم يد العون مما يقدر عليه من قول أو فعل، حتى وإن لم يجد في وسعه إلا التعاطف مع أهل الحق لكان ذلك واجبًا عليه.

إن القرآن الكريم وهو يسجل ما كان بين الفرس والرومان من صراع لم يفته أن ينبه المسلمين إلى ضرورة أن يكون انحيازهم لأهل الروم، لا لكونهم أهل كتاب يقاتلون عبّاد النار من الفرس، وإنما لكونهم أصحاب قضية عادلة، وانتصار القضايا العادلة هو نوع من النصر الذي يباركه الله، كما ينبغي أن يفرح له المؤمنون، يقول تعالى:{الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ الله يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[**الروم:١- ٥**].

إن ما تستلزمه رابطة الأخوة الإنسانية الجامعة، وما تمليه محبة العدل الفطرية التي أودعها الله النفوس، أن يتعاون الناس على نصرة المظلومين والمقهورين، لا أن يسعى البعض منهم جاهدًا في إلصاق تهمة الإرهاب والعنف بمن يقاومون من يحتل بلادهم، ويستوطن أرضهم، وكأنه بهذا التلبيس امتداد للنهج الفرعوني الذي كان يصف نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - وقد جاء ليستخلص المستضعفين من يده - أنه إنما أراد أن يظهر في الأرض الفساد: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} [**غافر: ٢٦**].

المبحث الثالث

المرتكزات الاجتماعية للإخاء والسلام العالمي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: استبعاد الدين عن مجال الصراعات السياسية

المطلب الثاني: احترام الخصوصية الثقافية وتقدير قيمة التنوع

المطلب الثالث: شرعية التحالفات الدولية لتحقيق السلام

المطلب الرابع: عدالة الإفادة من الثروات الطبيعية

المطلب الأول

استبعاد الدين عن مجال الصراعات السياسية

النقطة الأولى: الخصومة باسم الأديان تتنافى مع أصولها ومقاصدها

الأصل في الأديان مجيئها للرحمة، وإرساء مبادئ العدل، والسير بالناس جميعًا إلى عبادة خالقهم ورازقهم، ومع هذا فإن أعداء البشرية، من تجار الحروب، ومسعري نار الفتن لا يكتفون بمصادرة حق الأديان في توحيد البشرية على كلمة سواء، بل يعملون على استغلال الأديان واستدعائها لتحقيق أطماعهم الاقتصادية والسياسية من وراء الصراعات الدامية، وهو ما يتناقض تمامًا مع مقاصد الأديان وأهدافها، من الدعوة إلى التآخي، والرحمة.

فنبي الله نوح- عَلَيْهِ السَّلَامُ - حين جاء قومه برسالته، قد أفصح عن مقصوده من الرحمة بهم بقوله - كما حكى القرآن -: {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [**الأعراف**: ٦٣]. والتوراة التي جاء بها موسى- عَلَيْهِ السَّلَامُ - يقول عنها القرآن: { وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً} [**الأحقاف**: ١٢]،

والقرآن الذي جاء به محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول في شأن ذلك الرسول: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [**الأنبياء**: ١٠٧].

فلا يمكن لأديان المرحمة أن تدعو لحرب، أو تأمر بصراع وفرقة، بل الحقيقة أن البشرية ما أصابها، ولا يصيبها من أثار الحروب إلا بسبب التنكر للأديان، والاختلاف حول أصولها الداعية للسلام، واستبدال تلك الأصول

بالاحتكام للأهواء والمطامع؛ ولذلك عاب الله - تعالى- على من فرقوا كلمة الدين الواحدة وأصولها المشتركة بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى الله ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [**الأنعام**: ١٥٩].

وقد أخبر جل شأنه بدوام هداية البشرية إن هي استمسكت بهداية الدين، وإلا فإن مصيرها هو الشقاء الدائم، والقلق المستمر. قال تعالى:{فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.[**البقرة: ١٣٧**].

ثم إن القرآن الكريم قد أخبرنا كيف أحبط الله تعالى كيد من رفع راية الدين، ورام بها إشعال حرب تأتي على البشر والمقدسات بالتخريب والهلاك، وذلك حين قص علينا ما كان من شأن (أبرهة) الحبشي الذي قصد بجيشه إلى هدم البيت الحرام، لتحل محله كنيسة كبرى قد بناها باليمن، وهو يظن أن في ذلك خدمة للمسيحية، وما كانت المسيحية ولا المسيح ليرضى بهذا العدوان السافر، خاصة وهو الذي قال لأتباعه:" أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم".

ولربما كان عبد المطلب بن هاشم أحسن مسلكًا في هذا الموقف حين أعرض عن المواجهة بقوله:" للبيت رب يحميه"، واكتفى أن يمسك بحلقة باب الكعبة وينشد:

لاهـم إن المـرء يمـ ** ـنع رحالـه فـامنع رحالـك

لا يغلـبنّ صلـيبهم ** ومَحـالهم أبـدًا مَحـالك

وقد أنزل الله تعالى بشأن هذا الحادث قوله: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥) } **[الفيل: ١ - ٥]**.

النقطة الثانية: القرآن يثني على الأديان السماوية

لا يمكن للأديان إذن وهي ذات المصدر الواحد، والمقاصد المشتركة أن تكون سببًا في الصراع، لا سيما الإسلام الذي أبدى من مظاهر الثناء والتمجيد للأديان السابقة عليه مالا ينكره إلا حاقد.

فالقرآن يصف موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بأنه: {رَسُولٌ كَرِيمٌ} **[الدخان: ١٧، ١٨]**، ويقول عنه: {وَكَانَ عِنْدَ الله وَجِيهًا} **[الأحزاب: ٦٩]**، وامتدح توراته التي أنزلها الله عليه بقوله: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ} **[المائدة: ٤٤]** ويثني على أمته يوم استقامتها بقوله: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } **[البقرة: ١٢٢]**.

وكذلك يثني القرآن على نبي الله عيسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، بقوله تعالى:{وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } **[آل عمران: ٤٥]**، ويُفرد للكلام عن ميلاده- عَلَيْهِ السَّلَامُ- مالم يفرده لميلاد نبي الإسلام محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. كما يخصص لأمّه البتول سورة كاملة في القرآن باسمها (سورة مريم)، ويعتبرها القرآن صدّيقة مصطفاة. {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ} **[المائدة: ٧٥]**، {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ الله اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} [آل

عمران: ٤٢]، ويصف إنجيله بالهدى والنور بقوله:{وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ} [**المائدة: ٤٦**]، ويثني على أتباعه المخلصين لدعوته حين كانوا محسنين بقوله: {وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً } [**الحديد: ٢٧**].

والإسلام هو الذي يدعو إلى الحوار مع أهل الديانتين بالحسنى والحكمة {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [**العنكبوت: ٤٦**].

كما يستنهض الإسلام همم أهل الأديان جميعًا للتعاون على ما فيه خير البشرية، ويعتبرهم طرفًا رئيسًا في صناعة ذلك التعاون وتقويته {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ } [**آل عمران: ٦٤**].

فلا يمكن بعد هذا الثناء والدعوة للتعاون بين الأديان أن يكون الدين هو مصدر الصراع، وإنما الحقيقة أن الأطماع السياسية هي التي أفسدت كل شيء، ولم تتورع في سبيل تحقيق أغراضها من استخدام أي شيء واستغلاله، ولو كانت الأديان الطاهرة. الحقيقة أن السياسة هي التي أساءت للأديان، وليست الأديان هي التي أضرت بالسياسة، بل السياسة الواحدة لأهل كل دين هي التي أفسدت دينهم عليهم، حين جعلت منه ومن رجاله مطية لتبرير قهرها وظلمها، ولو عادوا إلى صحيح الدين ما دلهم على ما فعلوا!

النقطة الثالثة: مسجد الضرار نموذج لاستغلال الدين في الصراع

ومما ذكره القرآن الكريم في سياق استغلال الدين في الصراعات، ما كان من شأن أولئك الذين تحالفوا مع خصوم الإسلام من أهل الروم، وبنوا على إثر ذلك مسجدًا يكون في الظاهر مكانًا للعبادة والصلاة، بينما القصد أن

يكون معقلًا وموئلًا يجتمعون فيه هم ومن يأتيهم من جنود الرومان، وأهل النفاق؛ استعدادًا لحرب الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والانقضاض على دولة الإسلام. وقد أرادوا في ذلك خداع النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حتى طلبوا إليه الصلاة في هذا المسجد، ومقصدهم بذلك أن يمنحه الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بتلك الصلاة شرعية الوجود، وكاد الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يفعل لولا أن أحبط الله كيدهم، وكشف عن مقصودهم بقرآن أنزله على رسوله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ينهاه فيه عن الصلاة في ذلك المسجد. وفي شأن هؤلاء وما كانوا يقصدونه من الإضرار بالمسلمين من وراء بناء ذلك المسجد يقول تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ الله وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ الله وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [التوبة: ١٠٧ - ١١٠].

النقطة الرابعة: بين استغلال الدين وتفعيل الدين

بقيت في هذا السياق مسألة تحتاج إلى بيان، وهي ضرورة التفرقة بين استغلال الدين، وبين تفعيله في قضية الصراع؛ ذلك أن هناك فرقًا دقيقًا بين الأمرين، وغياب هذا الفارق ربما يظن البعض معه أن الأمرين متساويان، وقد يرتب على ذلك مصادرة حق الدين في القيام بدوره التوجيهي في الشئون

العامة.

إن استغلال الدين هو نوع من تسخيره وتطويعه لخدمة أغراض حزبية خاصة، بحيث يكون الدين معها خادمًا لا مخدومًا، وموجَّهًا لا موجِّهًا، بينما تفعيل الدين يعني إتاحة الفرصة أمامه لأداء وظيفته الطبيعية في تعبئة النفوس لدفاعها عن حقوقها، ورد العدوان الواقع عليها، وعلى الجملة:

١- فإن الدين يكون مفعلًا حين يُستدعي لإخماد نار الحروب التي أوقدها أهل الأطماع الاقتصادية والسياسية؛ وذلك لرد عدوانهم وكف أذاهم.

٢- ويكون مفعلًا حين لا يكون استدعاؤه بغرض محاربة أديان الأخرين، وإنما للتصدي لعدوانهم، دون النظر لدوافع ذلك العدوان وأسبابه لديهم، فالدين لمجابهة من قاتل وحارب، لا لمواجهة من سالم أو خالف.

٣- ويكون الدين مفعًلا حين لا يصطحب معه في معركته رجالَ دين لا قصد لهم إلا فتنة المحاربين في دينهم، وقهرهم على تركه خدمة للدين الآخر.

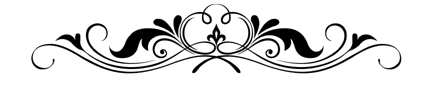
٤- ويكون مفعلًا حين لا يستغل نصره على محاربيه في العمل على إلغاء خصوصيتهم الثقافية وهويتهم الحضارية، بل يتركهم وما يدينون، لا يهدم لهم معبدًا ولا يطمس لهم هوية.

٥- ويكون مفعلًا حين يكون حاضرًا دومًا في نفوس أصحابه، ومتواجدًا باستمرار في حياتهم وسلوكياتهم، وأما فلو كان الدين غائبًا عن الحياة، لا أثر له في النفوس أو السلوك، ولا يستدعى إلا لتزكية صراع قام

لأجل تحقيق الأطماع الخاصة، وما إن تتحقق تلك الأطماع والأغراض إلا ويعود الدين إلا التواري والتخفي مرة أخرى، فإن ذلك يكون استغلالًا للدين لا تفعيلًا لأوامره وتوجيهاته.

الحاصل أن الدين لا يدعو لإنشاء الحروب وقيامها، بل هو الداعي لنزع فتيلها ابتداءً، والداعم لمواجهة موقدي ومشعلي نارها انتهاءً، ولا ينكر أحد ما للدين من أثر في تعبئة النفوس لمواجهة العدوان ودفعه، كما لا ينكر أحد قدرة الدين على تزكية القوة الروحية، ورفع الكفاءة المعنوية للمجاهدين.

ومن رام لأمة أن تجابه عدوها بغير دين فقد رام لها حرماناها من أكبر عوامل القوة، وأمضى أسلحة الصمود والنضال؛ إذ لا يقوم مقام الدين في تثبيت نفوس المجاهدين، وتسلية ذوي الشهداء والمصابين شيء آخر مما يعتز الناس بالانتماء إليه من قومية ووطنية وغيرها، على ما لذلك كله من اعتبار.



المطلب الثاني

احترام الخصوصية الثقافية وتقدير قيمة التنوع

النقطة الأولى: مبررات التنوع

في عالم الحس لا تتشابه المخلوقات فيما بينها كل التشابه، بل إن لكل عالم من العوالم خصائصه، وسماته التي يمتاز بها عن غيره، وفي عالم النفس تتباين أمزجة الناس، وتختلف حظوظهم من المشاعر الوجدانية تفاوتهم في طبيعة التصورات، وأنماط السلوك.

وما كان ذلك التنوع في الأنفس والأفاق إلا آية من آيات القدرة الإلهية، ومعجزة من معجزاتها ! وما كان ذلك الاختلاف إلا تعبيرًا عن عمل الإرادة الإلهية الحرة، والقدرة الربانية المطلقة. يقول تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ} [الروم: ٢٢].

وبالجملة فإن لهذا التنوع ما يبرره، من اختلاف الدين، ونمط الثقافة، وشكل البيئة، وأنصبة العقول من القدرة على التفكير، وفوق ذلك كله ما أراده الله بهذا التنوع من ضرورة التكامل بين البشر، وتسخير بعضهم لبعض، تسخير اكتمال لا تسخير إذلال. قال جل شأنه: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣٢].

يقول الأستاذ العقاد:" سيبقى الاختلاف بين الناس بلا عد وبلا حد، يقسمه من يريد التقريب والإيجاز ثلاثًا ثلاثًا أو أربعًا أربعًا أو اثنتين اثنتين، إلا أنه سيرجع في مئات الفوارق وألوفها إلى تلك الظاهرة الكونية التي لا تدع ورقتين على فرع واحد من الشجرة الواحدة متشابهتين كل التشابه في تركيب الأجزاء وأحرى ألا يتشابه التركيب في الجماعات الإنسانية ولو تشابهت ظروفها الاقتصادية كل التشابه فيما بدا واستتر، وفيما يملكه الأفراد أو تملكه الجماعات من إرادة وتدبير"[1] ويضيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:" ويحق لنا أن ننظر إلى المسألة من وجهة أخرى غير وجهة الواقع الذي لا حيلة لنا فيها. فنسأل: أترانا نسلم لهذه الظاهرة الكونية لأنها قضاء حتم ينفذ فينا كما ينفذ في الكون كله من أعلاه إلى أدناه؟ أترانا نبدل من هذه الظاهرة الكونية لو ملكنا التبديل في حياتنا الإنسانية فلا ندع بين الإنسان والإنسان موضعًا لاختلاف التركيب في الأجسام أو في العقول أو في الأحوال والأطوار؟

لو أننا فعلنا ذلك لظلمنا أنفسنا وحرمنا النوع الإنساني ثروة من الأفكار والعواطف والأذواق يجني علينا الحرمان منها أفرادًا وجماعات.. فإن هذه الثروة النفسية هي التي تميزنا من الأحياء الدنيا، وهي التي تميز المتقدمين منا على المتأخرين، وهي التي تفيدنا من تنويع الكفايات وتوزيع الأعمال وتجعل كل فريق منا لازمًا لكل فريق بين سكان الكرة الأرضية قاطبة أو بين السكان في كل بقع من بقاعها على انفراد. ويظل هذا التنويع في أفكارنا وأخلاقنا

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، ص٢١٣، دار نهضة مصر، ٢٠١٣، بدون رقم طبعة

وأذواقنا ثروة نفسية نحرص عليها ولو ثبت أنها - في أصولها - ضرورات اجتماعية تقسرنا عليها المنفعة المادية والحاجة الحيوانية. فإن الضرورات التي تفتح لنا آفاقًا من الفكر والخلق والذوق تنوعها وتوسع جوانبها خير من الضرورة التي تحبسنا في أفق ضيق يهبط بنا شيئًا فشيئًا إلى حضيض تحت حضيض من الحيوانية العجماء".[١]

ونظرًا لهذه الاعتبارات التي سوغت الاختلاف فقد اعتبر الإسلام أن أية محاولة لحمل الناس قهرًا على عقيدة واحدة، أو ثقافة واحدة نوعًا من مصادمة الفطرة، وخروجًا بالأشياء عن طبائعها، وهو ما يبشر بفشل تلك المحاولات جميعًا، ولو بذلت في سبيل تحقيقها النفوس، وأزهقت لأجلها الأرواح، وأهدرت لتحصيلها الأموال.

فكم قرر الإسلام ضرورة ترك الناس واختلافاتهم بقوله: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ الله لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [**المائدة**: ٤٨]، {وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [**النحل**: ٩]، {وَلَوْ شَاءَ الله لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } [**النحل**: ٩٣]، {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا} [**البقرة**: ١٤٨]، {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [**الليل**: ٤]، {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [**الكافرون**: ٦].

وحاصل هذه التوجيهات أن يَترك الناس لتعمل فيهم سنة التنوع، وأن لا يتخذ من ذلك التنوع ذريعة للتعصب والصراع، بعد أن جعله الله سبيلًا للتعارف والتكامل. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ}

---

(١) المرجع نفسه، ص٢١٣، ٢١٤

[الحجرات: ١٣].

النقطة الثانية: التطبيق الإسلامي لمبدأ احترام التنوع

ولقد أحسن الإسلام في تطبيقه لمبدأ احترام التعدد، حيث لم يثبت عنه في شيء من فتوحاته أنه سعى إلى طمس هوية الشعوب، أو تغيير لغاتها وأديانها، بل لقد خالط ثقافات متعددة، وعنصريات مختلفة، جاورها جميعها، وحاورها كلها، وقبِل منها ما يتفق وأصوله، ورد منها ما يتنافى أو يتصادم مع تلك الأصول، حتى لقد اعتبر البعض تلك الخاصية أمارة على رجولة العقل الإسلامي.

جاء في قصة الحضارة:" وليس العجيب أن يفشل الإسلام في اكتساب الهند إلى اعتناقه إنما المعجزة هي ألا يخضع الإسلام في الهند للهندوسية؛ فبقاء هذه الديانة الموحدة على بساطتها وصلابتها، وسط ألوان متشابكة من الديانات التي تذهب إلى تعدد الآلهة، دليل يشهد على ما يتصف به العقل الإسلامي من رجولة"[(١)]

النقطة الثالثة: بين عالمية الإسلام وعولمة الغرب

ومن عجائب الإسلام كذلك أنه وهو يبشر بنظامه العالمي، لم يتخذ من

---

(١) قصة الحضارة، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١ م)، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ج٣، ص٤٠٧، (بتصرف يسير)

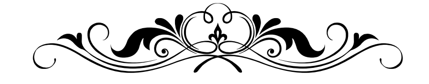
تلك العالمية ذريعة لفرض عقيدته أو نموذجه الحضاري بالقوة، بل دعا الناس بالحوار إلى الاتفاق على أصول الحياة الاجتماعية العادلة، وترك لهم حرية التنوع فيما عدا ذلك من أشكال الاختلاف الثقافي، والحضاري، وهذا ما امتازت به عالمية الإسلام عما يسمى بالعولمة الغربية؛ ذلك أن تلك العولمة ماهي إلا محاولة لفرض النموذج الحضاري الغربي على الشعوب جميعًا، دون اعتبار ولا احترام لخصوصيتهم العقدية والفكرية، بحيث يصبح الناس يأكلون كما يأكل الغرب، ويلبسون كما يلبس، ولا يرون الأشياء إلا بالمنظار الذي يراه الغرب. ثم إن العولمة الغربية تستند في فرض نظامها إلى القوة، وتتيح لنفسها على إثر ذلك قهر الشعوب، واستعمار بلادها، وإن تسترت في ذلك خلف شعارات التنوير، والحرية، والديمقراطية، والحداثة... وغيرها من المصطلحات؛ وهذا كله مخالف لعالمية الإسلام في عرضها لنظامها الاجتماعي الإنساني واضعة في اعتبارها أمرين مهمين:

الأول: سلمية الأسلوب، ونزاهة الوسيلة في الدعوة إلى نظامها الاجتماعي.

الثاني: الاعتراف بحق الناس والشعوب في الخصوصية الدينية والثقافية.

ثم إن عالمية الإسلام لم تأت ثمرة للرغبة في الهيمنة كما هو الشأن في العولمة الغربية، وإنما أتت ابتداءً لإنشاء نظام اجتماعي عام يقوم على العدل، واحترام الإنسان لكونه إنسانًا، وقد دعا الإسلام إلى ذلك وبشر به يوم أن كان الناس لا يعرف بعضهم بعضًا، وكانت كل دولة تعيش بمعزل عن الدول الأخرى، حيث لم تكن وسائل الاتصال يومئذ قد قربت المسافات حتى جعلت العالم كله كقرية صغيرة كما هو اليوم، كما لم تكن مصالح الدول

والشعوب قد تشابكت فيما بينها وارتبطت ببعضها إلى هذا الحد. لم يكن شيء من ذلك كله موجودًا يوم بشر الإسلام بنظامه العالمي العادل، الذي يحترم التنوع والتعدد، وهو ما يُعد بذاته آية من آيات هذا الدين، تضاف إلى أدلة صدقه، وربانية مصدره.



المطلب الثالث

شرعية التحالفات الدولية لتحقيق السلام

فطرة التعاطف مع الحق والخير لا تكفي وحدها لحمايتهما، بل لابد من ترجمة ذلك التعاطف في صناعة تحالفات تعاونية يكون لها من القوة، والقدرة على تنفيذ قرارتها ما يؤهلها لحماية الحقوق، وإلزام خصوم السلام بالتوقف عن العدوان، وتهديد الأمن العام.

وما أحسن ما أشار إليه القرآن الكريم من أهمية وجود القوة اللازمة لحماية الحق وصيانة العدل الذي جاء به الأنبياء والمرسلون، وذلك في قوله سبحانه: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الله مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ} **[الحديد: ٢٥]**. فقد جمعت الآية في سياق واحد بين الكتاب الذي هو مصدر الهداية، وبين الحديد باعتباره عنصر القوة اللازم لحماية ذلك الكتاب. يقول الإمام ابن القيم: فَبِالسَّيْفِ النَّاصِرِ وَالْكِتَابِ الْهَادِي عَزَّ الْإِسْلَامُ وَظَهَرَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا.[1]

ومما يحسب للإسلام في هذا الصدد مناداته المبكرة لإنشاء تحالفات عالمية، يكون الجميع فيها مشاركًا ومسئولًا عن القيام بدوره في صناعة

---

(١) أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادى للنشر - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ - ١٩٩٧، ج٣، ص١٣٠٥

السلام وحماية البشر من عدوان بعضهم على بعض وإلا فإن لم يستجب الآخرون لهذه الدعوة فإن الإسلام ماضٍ في طريقه لتحقيق ذلك السلم العالمي ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

بهذه الدعوة العامة ينادي القرآن: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا الله وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }. **[آل عمران: ٦٤]**.

ولئن كان الإسلام قد سبق بهذه الدعوة لإنشاء هذه التحالفات، فلربما يكون هو الأسبق كذلك في إعطائها مشروعية استخدام القوة لإنهاء الخلافات التي يرفض فيها المعتدون النزول على حكم العدالة، وذلك إن لم تُجد الطرق السلمية نفعًا.

فالقرآن الكريم يقول: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ الله فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } **[الحجرات: ٩]**.

وما قررته الآية الكريمة ليس خاصًا بالمسلمين، بل هو بمثابة التشريع العام الناجح لحل الخلافات الكبرى، خاصة حين يستبد المعتدون بموقفهم.

وقد شاءت حكمة الله - تعالى - أن يكون رسول الإسلام - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أحد الذين شهدوا ميلاد حلفٍ إنساني عام، قصد به حماية المستضعفين، وانتزاع حقوقهم من يد غصّابها. وقد أثنى الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيما بعد على ذلك الحلف حتى قال: "فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ

النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُثُهُ "[1]

وفي رواية أنه قال: " لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ الله بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ وَلَو دعى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ ".[2]

يقول الإمام الماوردي (ت ٤٥٠):" وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِعْلًا جَاهِلِيًّا دَعَتْهُمْ إِلَيْهِ السِّيَاسَةُ، فَقَدْ صَارَ بِحُضُورِ رَسُولِ الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَهُ، وَمَا قَالَهُ فِي تَأْكِيدِ أَمْرِهِ حُكْمًا شَرْعِيًّا وَفِعْلًا نَبَوِيًّا"[3]

والسبب في إنشاء حلف الفضول هذا أن رجلا من زُبَيْدٍ قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل ونهروه، فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:

يَـا آلَ فِهْـرٍ لِمَظْلُـومٍ بِضَاعَتُـــهُ ** بِـبَطْنِ مَكَّـةَ نَـائِي الـدَّارِ وَالنَّـــفَرِ

وَمُحْرِمٍ أَشْعَثٍ لَـمْ يَقْـضِ عُمْرَتَـهُ ** يَـا لَلرِّجَـالِ وَبَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحَجَرِ

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم: ١٦٥٥

(٢) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م، ج١، ص٢٦١

(٣) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤، ج٥، ص١٧٠

إِنَّ الْحَـرَامَ لِمَـنْ تَمَّـتْ كَـــرَامَتُهُ ** وَلَا حَـرَامَ لِثَـوْبِ الْفَـــاجِرِ الْغُـدَرِ

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك.

فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه وعلى التأسي في المعاش.، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه حق الزبيدي فدفعوه إليه. وقد قَالَ الزُّبَيْرُ في ذلك[1]:

إِنَّ الْفضُـولَ تَعَاقَـدُوا وَتَحَـــالَفُوا ** أَلَّا يُقِـيمَ بِـبَطْنِ مَكَّـةَ ظَالِـــمُ

أَمْـرٌ عَلَيْـهِ تَعَاقَــــــدُوا وَتَوَاثَقُـوا ** فَالْجَـارُ وَالْمُعْتَـرُّ فِـيهِمْ سَـالِمُ

ثم إن الرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما كان يجد حرجًا في محالفة المشركين على ما يصون الحق ويحفظ الحرمات، ولذلك صح عنه أنه قال يوم الحديبية (٦هـ):«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ خُطَّةً يُعَظِّمُونَ بِهَا حُرُمَاتِ الله إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»[2]

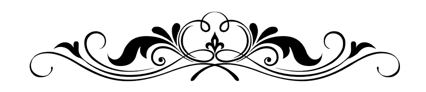
فالحاصل أن الإسلام الذي كان أسبق في المناداة بإنشاء تحالفات عالمية لتحقيق السلام والعدل، لا يمكن أن يمانع اليوم من التعاون

(١) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م، ج١، ص٢٥٩

(٢) سنن أبي داوود، كتاب: الجهاد، باب: بَابٌ فِي صُلْحِ الْعَدُوِّ، رقم: ٢٧٦٥

والانضمام إلى أية أحلاف معاصرة تستهدف ذات القيم، سواء كانت تلك التحالفات على شكل هيئة أمم، أو مجلس أمن أو غيرها، وإن أُخذ عليها جميعًا تقصيرها في القيام بالمرجو من وجودها وإنشائها، وذلك بسبب ما تبديه من انحياز لبعض الأطراف على حساب الأخرى من جهة، واستبداد بعض أعضائها بقرارتها باسم حق (الفيتو) من جهة أخرى.

ولن ينصلح خلل هذه المؤسسات والهيئات ما لم تكن عقيدة القائمين عليها التي يصدرون عنها هي الإيمان بتساوي الناس جميعًا في الحقوق والوجبات، وتكافئهم في الحرية والكرامة دون النظر لاختلاف أديانهم وأعراقهم، وهي المبادئ التي بشّر بها الإسلام من قبل، وسيظل يدعو العالم إليها من بعد !



المطلب الرابع

عدالة الإفادة من الثروات الطبيعية

النقطة الأولى: التسخير العام للموارد

شاءت حكمة الله - تعالى - حين خلق هذا الكون الفسيح أن يجعله صالحًا لمعيشة الإنسان باعتباره إنسانًا، فقد خلق الكون بسننه الحاكمة، وقوانينه العامة بحيث يكون منسجًما لحركة الإنسان وتفاعلاته مع الطبيعة، ولم يشأ سبحانه - وتعالى - لقبيل من البشر، أو جيل من أجيالهم أن يستحوذ على مصادر الثروة الطبيعية التي أودعها الله ذلك الكون الكبير؛ ليبقى بموارده ملكًا للبشرية كلها.

وقد أشار القرآن الكريم كيف امتن الله على خلقه بتسخيره هذا الكون بموارده لخدمتهم جميعًا بقوله: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي الله بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ} [**لقمان: ٢٠**].

وقد ورد في سورة النحل حديث مفصل عن بعض هذه الموارد الطبيعية التي سخرها الله لخلقه، سواء في ذلك الموارد المائية، أو الحيوانية، أو النباتية، أو حتى بعض موارد الطاقة ومصادرها، وفي ذلك يقول جل شأنه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي

الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } [**النحل**: ١٠ - ١٦].

ومما يلفت النظر في حديث القرآن عن تسخير الموارد للخدمة الإنسانية، أنه استند إلى هذا التسخير للتذكير بنعمة الله من جهة، والاستدلال به على وحدانية الله وقدرته من جهة أخرى، ولهذا اختتمت الآيات السابقات بقوله سبحانه: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [**النحل**: ١٧].

بل إن علماء العقيدة من المسلمين قد اتخذوا من التسخير الكوني للخدمة البشرية دليلًا على وحدانية الله تعالى ضمن أدلة ثلاثة إجمالية وهي: دليل الحدوث، ودليل الإمكان، ودليل العناية والنظام.

وقصدهم بدليل العناية هو" أن هذا الكون الفسيح بكل عوالمه وموجوداته العلوية والسفلية قد خلق على نمط من التنسيق، وشكل من الانسجام المطرد بين ملايين الظواهر الطبيعية من جانب، ومهمة تيسير حياة الإنسان من جانب آخر بما يمكن تفسيره بفرضية واحدة فقط هي وجود صانع حكيم قصد إلى توفير عنصر الحياة على الأرض من خلال تشابك هذه الظواهر العديدة"[(١)]

---

(١) مقومات الإسلام، دكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، ص٥٧، هدية مجلة الأزهر شوال ١٤٤٢هـ يونيو٢٠٢١م (بتصرف يسير) بدون طبعة

بل:" حتى الجمال والعطر والبهاء كظواهر طبيعية؛ نجد أنها توجد في المواطن التي يتوافق وجودها فيها مع مهمة تيسير الحياة... فالأزهار التي ترك تلقيحها للحشرات لوحظ أنها قد زودت بعناصر الجمال والجذب من اللون الزاهي والعطر المغري بنحو يتفق مع جذب الحشرة إلى الزهرة وتيسير عملية التلقيح، بينما لا تتميز الأزهار التي يحمل الهواء لقاحها عادة بعناصر الإغراء، وظاهرة الزوجية على العموم، والتطابق الكامل بين التركيب الفسيولوجي للذكر والتركيب الفسيولوجي لأنثاه في الإنسان، وأقسام الحيوان والنبات على النحو الذي يضمن تفاعل واستمرار الحياة - مظهر كوني آخر للتوافق بين الطبيعة ومهمة تيسير الحياة[1]: { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الله لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } **[النحل: ١٨]** .

فالحاصل أن هذا النظام الكوني قد انبنى على المطاوعة لخدمة الإنسان، واستجابة موارده لتحقيق عدالة العيش بين أبناءه، بما يحقق لهم الأمن والاستقرار العام.

---

(١) موجز في أصول الدين للسيد محمد باقر الصدر، ص٤١- ٤٢ نقلًا عن: مقومات الإسلام، لشيخ الأزهر الشريف أحمد الطيب، ص٥٦، وراجع كذلك (الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد)، حيث قد ذكر أمثلة متعددة لموافقة جميع الموجودات لوجود الإنسان ب: الليل والنهار، والشمس والقمر، والفصول الأربعة، وكذلك موافقة الحيوان والنيات والأمطار والأنهار والبحار ثم لخص موافقة الكون كله في موافقة العناصر الأربعة التي هي: الأرض والماء والنار والهواء.

النقطة الثانية: الوفرة الاقتصادية أفسدها الاحتكار ومشاريع الهيمنة

الموارد الاقتصادية هي من الوفرة والكثرة بحيث تفي بسد احتياجات البشرية المطّردة، بل هي كافية لتحقيق رخاء البشر لو أرادوا !

وكم لفت القرآن الكريم إلى النظر إلى تلك الوفرة للموارد بقوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا } [**المرسلات: ٢٥، ٢٦**]. وقوله سبحانه: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى الله رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [**هود: ٦**]. بل إن القرآن الكريم يقدم مباركة الله لموارد الأرض ومصادر ثروتها على تقديره سبحانه للأرزاق بقوله: { وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ}.[**فصلت: ١٠**].

فموارد الاقتصاد العامة بها من الكثرة والبركة ما يكفي ويُغني، وليست المشكلة كما يقول البعض في ندرة تلك الموارد، وإنما المشكلة فيما يفعله الإنسان بها من احتكارها حينًا، وسوء استخدامها حينًا آخر وهو ما عبر عنه القرآن بقوله: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ الله لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } [**إبراهيم: ٣٤**]. فظلم الإنسان وكفرانه هما سبب عدم كفاية الموارد بحاجة البشرية، فضلًا عن رخائها.

ظلم الإنسان بسعيه لاحتكار الموارد، وفرض مشاريع الهيمنة عليها، واستخدام القوة في امتلاكها وحرمان الضعفاء منها ولو داخل أرضهم وديارهم.

وكفران الإنسان بكسله عن البحث عن الموارد والكشف عن وجودها،

أو سعيه لإفسادها بعد إصلاحها، أو استغلاله إياها في غير ما فيه صلاح الإنسان.

ظلم الإنسان وكفرانه بهذا الشكل هو الذي جعل الموارد الاقتصادية العامة تبدو وكأنها غير كافيه. وإلا فالعالم الذي ينفق ما يزيد عن ثلثي دخله على الحروب التي تشعل فتيلها الأطماع الاقتصادية، ومشاريع الهيمنة السياسية.

هذا العالم لو أدّخر هذه الأموال لصالح الخير الإنساني العام لما كانت المجاعات، ولا المصائب الاقتصادية التي يعاني منها إنسان اليوم والغد.

والعالم الذي يعبئ طائراته التي تجوب الفضاء بقنابل التدمير، وأسلحة الدمار الشامل التي تهلك الحرث والنسل، وتلوث البر والبحر والجو، لو أنه أبقى على صلاح تلك الموارد البرية والبحرية والجوية لما اشتكى الفقر، ولا عانى من الحرمان. وصدق الله العظيم: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [**الروم: ٤١**].

النقطة الثالثة: التكامل الاقتصادي بديل عن الاحتكار والسيطرة

لقد طالب الله تعالى الإنسان أن يقاسم أخاه الإنسان بركة الموارد العامة، وحرم عليه الاحتكار المفضي إلى الغنى المطغي والفقر المنسي، وما يترتب عليهما من صراع طبقي يأتي على الأخضر واليابس.

وفي الإشارة إلى الحقوق المتساوية في الإفادة من خير الطبيعة يقول سبحانه: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} [**البقرة: ٢٩**]، ويقول جل شأنه: {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ } [**الرحمن: ١٠**]؛ إذ هي موضوعة لسد

حاجة العباد جميعًا، حتى لو كفر بعضهم وجحد نعمة الله عليه.

كما أشار القرآن الكريم إلى حق الناس العادل في مقاسمة المياه التي فجر الله بها الأرض عيونًا، أو أنزلها من السماء ماءً ثجاجًا ليخرج به حبًا ونباتًا، وجناتٍ ألفافًا. وفي ذلك يقول سبحانه: {وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ } [**القمر: ٢٨**]. والرسول- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ربما أشار إلى مقاسمة الناس جميعًا مصادر الثروة العامة بقوله: «**النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْمَاءِ وَالْكَلَأِ وَالنَّارِ**»[1]

وما نسي الإسلام بنصوصه وتطبيقاته أن يشير إلى ضرورة استشراف المستقبل الإنساني، والعمل على صيانة حق أجيال الغد من تلك الموارد الاقتصادية العامة، وهو بهذا المسلك يؤكد على ضرورة التكافل بين الأجيال المتعاقبة للبشرية، وليس فقط الوقوف عند حد تكافل الجيل الواحد منها، إذ ليس من حق جيل أن يهدر من الموارد ما يشاء، وينسي في غمرة متعته حق أجيال الغد.

ففي السورة التي أشارت إلى علة الأمر بتقسيم الثروة، وتوزيع المال بقوله تعالى: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} [**الحشر: ٧**]، في نفس السورة يرد ثناء الخلف على السلف، واللاحقين على السابقين لما قدموه من تضحيات في سبيل الخير العام بقوله سبحانه: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا

(١) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، كتاب: البيوع، بَابُ: النَّاسِ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ، رقم: ٤٤٩

لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠].

إن هذه الآيات الكريمات التي وصلت الخلف بالسلف، وربطت الأجيال ببعضها هي التي استند إليها سيدنا عمر بن الخطاب في حبسه أصول الموارد العامة لصالح أجيال الأمة في المستقبل، وإن كان جهد جيل اليوم في استثمار تلك الموارد لا ينكر!

لقد حبس- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أرض العراق عن الفاتحين، ورفض تقسيمها بينهم، واحتج على المخالفين لرأيه يومئذٍ بقوله: "أتريدون أن لا يبقى الأول للآخر شيئًا"!

إن على البشرية إن كانت جادة في تحقيق السلام أن تسعى جاهدة إلى التقسيم العادل لموارد الثروة، وتعمل على توزيعها بين البشر بما يحقق العيش المشترك.

هذا وللبشرية في فعل الله بالموارد التي لم يمكن الإنسان من القدرة عليها القدوة الحسنة؛ ذلك أن سبحانه قد أدخر لنفسه إدارة كبرى هذه الموارد التي لو قدّر لبعض القوى امتلاكها لجعلت منها مادة لإفناء البشرية وإذلالها، ولسارعت في تدمير خصومها، وذلك كالهواء، والشمس وغيرها من كل مصدر تستحيل الحياة معه إن قدر على احتكاره جيل، أو قبيل من البشر دون غيره.

وإلا فحظ الفقير من الهواء لا يستطيع أن يمنعه غني، ونصيب الضعيف من نور الشمس وحرارتها لا يمكن أن يقف له قوي!

ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

يريد الخالق الرزق اشتراكًا ** وإن يكن خص أقوامًا وحابا

ألم تر إلى الهواء جرى فأفضى ** إلى الأكواخ واخترق القبابا

وأن الشمس في الآفاق تغشى ** حمى كسرا كما تغشى اليبابا

وسوى الله بينكم المنايا ** ووسدكم مع الرسل الترابا

النقطة الرابعة: ملامح تشريعية لمجابهة الهيمنة الاقتصادية

مما يؤسف له: القول بأن الرغبة في تحقيق العدالة الاجتماعية بين البشر تظل حلمًا بعيد المنال في ظل خطط مرسومة، ومشاريع موضوعة للهيمنة الاقتصادية من قبل سياسيات الدول الكبرى، وشركات رأس المال العابرة للقارات، تلك الخطة التي تبدو ملامحها في ما يلي:

١. السعي المباشر للسيطرة على موارد الدول الأخرى واستغلالها بالقوة.

٢. الهيمنة النقدية التي تتبع للهيمنة الاقتصادية وذلك بوضع قيمة عُمل الدول المتقدمة قرارات الدول الأخرى من كافة المنظمات الدولية والشركات الكبرى بكافة المجالات كعملة أساسية مقابل العملات الأخرى لكل دول العالم، مما يؤدي إلى رفع قيمة عمل الدول المتقدمة بطبيعة الحال.

٣. التأثير على كونها تتبع لهذه الدول المتقدمة.

٤. هيمنة ثقافة هذه الدول المتقدمة على معظم دول العالم وتحويل باقي

الثقافات إلى التبعية الثقافية لامتلاكها القوة الإعلامية، ما يسبب ضعف وتبعية سياسيات الدول الأخرى لها.

٥. امتلاك الدول المتقدمة قوةً رأسماليةً عالية، ما يعطيها الأسبقية لمساعدة الدول الأخرى التي توافق على مصالحها. فهذه بعض ملامح الهيمنة الاقتصادية التي تحول دون إقامة إخاء إنساني، أو سلام عالمي؛ نظرًا لما يترتب عليها من استدامة الحروب، وزيادة التفوت الطبقي الرهيب بين أبناء البشرية الواحدة.[١]

فهذه بعض ملامح الهيمنة الاقتصادية التي تحول دون إقامة إخاء إنساني أو سلام عالمي؛ نظرًا لما يترتب عليها من استدامة الحروب، وزيادة التفاوت الطبقي الرهيب بين أبناء الأسرة البشرية الواحدة.

ومع ما تنبئ به هذه المشاريع من مخاطر يظل الإسلام يستصرخ البشرية، وقادة الاصلاح بها إلى جملة من أهم تشريعاته لتحقيق العدالة الاجتماعية العامة، وصناعة تكافل إنساني يحقق الاستقرار والسلام، ولعل أهم هذه التشريعات إضافة لما مر- الحديث عنه - ما يلي:

١- تحريم الإسلام للربا والعمل على سد منافذه لما يمثله من خطورة على عصب الاقتصاد العالمي.

٢- تحريم الاحتكار وتجريمه، سواء كان ذلك الاحتكار للأدوية، أو الصناعات أو غيرها من كل ما يضر بالمصالح الإنسانية العامة.

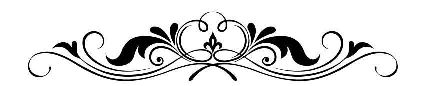
---

(١) مقال بعنوان مظاهر الهيمنة الاقتصادية، أحمد السلمان، https://hyatoky.com

٣- السعي لإزالة التفاوت الرهيب بين الطبقات، والعمل الجاد على تقليل الفجوة الاقتصادية بين دول الشرق والغرب، أو الشمال والجنوب.

٤- اعتماد القرض الحسن الذي دعا إليه الإسلام كبديل عن قروض تلك المصارف الربوية العالمية التي تستهدف من وراء إقراضها الدول الفقيرة تحقيق أهداف أصحابها السياسية والاقتصادية، وما يفعله صندوق النقد الدولي بالدول الفقيرة بإجراءاته وشروطه لا يخفى.

وبالجملة فإن الإسلام سيظل بهداياته وتشريعاته قارورة الدواء الناجحة لعلاج ما تعانيه البشرية من أدواء اقتصادية تهدد أمنها واستقرارها، خاصة ولم يسبق لدين أو فلسفة - في القديم أو الحديث - أن كان لها من سعة الصدر للإخاء الإنساني، وصلاحية التشريع للمصالح المشتركة، ما يؤهلها للتعرض لحل هذه الإشكالات الاقتصادية.



الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

أولا: أهم نتائج البحث

١- احترام الإسلام وتقريره للخصوصية الدينية والثقافية، واعتبار ذلك التنوع دليلًا على القدرة الإلهية، وسبيلًا للتكامل البشري، وتسخير الناس بعضهم لبعض، تسخير تعاون واكتمال لا تسخير إهانة وإذلال

٢- الخصومة باسم الدين، والاقتتال تذرعًا به يتنافى مع مقاصد الأديان وأهدافها العامة في دعوتها للرحمة وسعيها لتحقيق مصالح الإنسان وأمنه

٣- عدم اكتفاء الإسلام بالدعوة النظرية لإقرار السلام وتحقيقه بين البشر، بل أضاف لتلك الدعوة النظرية إرشاداته للإجراءات والتدابير اللازمة لتحقيق ذلك السلام عمليًا.

٤- اتحاد الأديان في مصادرها وغايتها وأهدافها في المنظور الإسلامي يسهم في نشر السلام بين اتباع تلك الديانات ويعزز بينهم قواسم العيش المشترك

٥- للإسلام رؤيته في قطع الطريق على الإساءة للأديان والنيل منها بالسب أو الثلب، واعتبار تلك الإساءة جريمة يعاقب عليها قانونًا.

٦- قدم الإسلام للبشرية الأخوة الإنسانية العامة كبديل عن العنصريات التي تمزق ما بينها من أواصر القربى وتغلق أمامها سبل التعاون على البر

والمعروف.

٧- نزعة التكفير توجه دخيل على الإسلام وفكره، لا تمثل شيئًا من صميم ذلك الدين، ولا تعبر عن حقيقة جوهر ثقافته.

٨- رفض الإسلام لكل مشاريع الهيمنة والاستعمار، لما تفضي إليه من حروب ونزاعات، وتقريره حق الشعوب في مقاومة الاحتلال وتحقيق الاستقلال الوطني.

٩- تختلف عالمية الإسلام في جوهرها وأهدافها عن تلك العولمة الغربية التي يراد فرضها على البشر بالحديد والنار دون مراعاة لاختلاف الناس في الدين والثقافة، وهو ما ينذر بإشعال فتيل الحروب، وتقليل فرص السلام العالمي والإخاء الإنساني

١٠- مناداة الإسلام بعدالة الإفادة من الثروات الطبيعية باعتبارها نعمًا عامة للبشر جميعًا، لا يحق لقوة من القوى احتكارها وحرمان الآخرين من خيرها.

١١- ليس في الإسلام ما يمنع من إقامة تحالفات محلية وعالمية تستهدف حماية المستضعفين وتقرر حق الأمم جميعًا في الأمن والحرية.

١٢- أوجب الإسلام مساندة المستضعفين، وإسعاف المكروبين؛ قيامًا بحق الأخوة الإنسانية الجامعة، واستجابة لما تفرضه محبة العدل الفطرية التي أودعها الله النفوس.

ثانيًا: أهم توصيات البحث

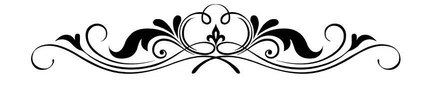
١- إنشاء مؤسسة عالمية مشتركة لمتابعة الدعوات العنصرية؛ وملاحقتها والتصدي لتفكيك ما يدعيه أصحابها من عناصر علمية، وذلك قطعًا للطريق على ما من شأنه تعزيز شعور الكراهية بين البشر، وتهديد أمنهم وسلمهم العالمي.

٢- إعطاء أولوية لترجمة أهم المؤلفات التي صنفها علماء المسلمين لشرح مقاصد الإسلام العليا إلى اللغات الحية؛ قيامًا بواجب التعريف بالإسلام من جهة، وتصديًا لتلك المؤلفات الغربية التي تصدر عن الإسلام مستهدفة تشويه صورته أمام الرأي العام العالمي، وصناعة ما يسمى بالإسلاموفوبيا (التخويف من الإسلام) من جهة أخرى.

٣- الاهتمام بعلم مقارنة الأديان باعتباره وسيلة لبيان القواسم المشتركة بينها، مما يمهد للتقارب بين أصحابها جميعًا، ويمكنهم سويًا من مواجهة الإلحاد العقدي، ومقاومة الفساد الأخلاقي، ومجابهة مشاريع الاستعمار الحديثة.

٤- تدعيم ما يقوم به قادة الأديان الكبرى في العالم من إقامة مؤتمرات عالمية للحوار؛ بغية الاتفاق على مقومات العيش الإنساني المشترك، وتعزيز سبل السلام العالمي، لاسيما حين تكون تلك المؤتمرات والدعوات محددة الأهداف، والغايات ابتداء، وساعية عبر آليتها المعتمدة لتقييم ما تم انجازه مما اتفق عليه خلالها انتهاء.

٥- الاجتهاد في وضع تعريف محدد (للإرهاب)؛ حتى ينقطع الطريق على تلك القوى الكبرى التي تحتكر تحديد المراد من هذا المصطلح بما يوافق هواها، ويحقق مصالحها، ولئلا يصبح ذلك المصطلح شعارًا وذريعة لإجهاض حق الشعوب المستضعفة في الدفاع عن نفسها، وحماية سيادتها، واستغلال قرارها.



قائمة بأهم مراجع البحث[1]

أولا: القرآن الكريم "كتاب الله المجيد"

ثانيًا: كتب السنة وشروحها:

١. صحيح البخاري.

٢. صحيح مسلم.

٣. سنن أبي داوود.

٤. مسند الإمام أحمد.

٥. مسند البزار.

٦. بُغية الباحث عن زوائد مسند الحارث.

ثالثًا: كتب عامة:

٧. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر - بيروت، ط٢/ ١٤١٤هـ.

٨. أساس البلاغة للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط١، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٩. الإسلام بين العلم والمدينة: الإمام محمد عبده، دار المدى للثقافة والنشر: ٢٠٠٢م، ط١/ ١٩٩٣م.

١٠. الإسلام دعوة عالمية، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، ط٩/ ٢٠١٣م.

١١. أمراض القلب وشفاؤها، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي

(١) المراجع مرتبة هجائيًا.

الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المطبعة السلفية - القاهرة، ط٢/ ١٣٩٩هـ.

١٢. البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة: د. عبد الله سمك، ط١/ ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

١٣. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي، سنة الولادة ٩٢٦هـ/ سنة الوفاة ٩٧٠هـ، الناشر دار المعرفة، مكان النشر بيروت.

١٤. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٥. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، ٢٠١٣م، بدون رقم طبعة

١٦. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي.

١٧. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م، ج١، ص٢٦١

١٨. السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢/ ١٣٧٥هـ= ١٩٥٥م.

١٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ت٣٩٨هـ)، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا.

٢٠. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: ١١٢٦هـ)،

الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢١. قصة الحضارة، وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (المتوفى: ١٩٨١ م)، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، عام النشر: ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٢٢. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

٢٣. مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الكليبولي المدعو بشيخي زاده، سنة الولادة / سنة الوفاة ١٠٧٨هـ، تحقيق خرح آياته وأحاديثه خليل عمران المنصور، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، مكان النشر لبنان/ بيروت.

٢٤. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، المؤلف: محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، الناشر: دار النفائس - بيروت، الطبعة: السادسة ١٤٠٧هـ.

٢٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط١/ ١٤٢٠هـ.

٢٦. معجم التعريفات، للشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م.

٢٧. معجم المصطلحات السياسية والدولية، د. أحمد زكي بدوي، طبعة أولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٢٨. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د. أحمد زكي بدوي، ط١ مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨م.

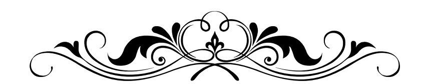
٢٩. مقال بعنوان مظاهر الهيمنة الاقتصادية، آلاء أبو عفيفة

٣٠. مقومات الإسلام، دكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، هدية مجلة الأزهر شوال ١٤٤٢هـ يونيو٢٠٢١م.

٣١. مناهج البحث عند مفكري الإسلام: د. علي سامي النشار، ط٣: ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م، دار النهضة العربية - بيروت.

٣٢. مناهج وأساليب البحث العلمي (النظرية والتطبيق): د. ربحي مصطفى عليان، ود. عثمان محمد غنيم، ط١/ ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن.

٣٣. منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام: د. حلمي عبدالمنعم صابر، سلسلة دعوة الحق، السنة السادسة عشر، العدد: ١٨٣، رابطة العالم الإسلامي- مكة المكرمة ١٤١٨هـ.



List of the most important search references

First: The Noble Qur'an "The Glorious Book of God"

Second: The books of the Sunnah and their explanations:

1-Sahih al-Bukhari.
2-Sahih Muslim.
3-Sunan Abi Dawood.
4-Musnad Al-Imam Ahmad.
5-Musnad Al-Bazar.
6-Bughyat Al-Baheth 'An Zawa'id Musnad Al-Harith.

Third: General books:

7-Akhbar Makkah Fi Qadem Al-Dahr Wa Hadithuh, author: Abu Abdullah Muhammad bin Ishaq bin Abbas Al-Makki Al-Fakihi (died: 272 AH), Editor: Dr. Abd al-Malik Abdullah Duhaish, Publisher: Dar Khader - Beirut, 2nd floor / 1414 AH.
8-Asas Al-Balaghah Lil-Zamakhshari (d. 538 AH), P.1, Editing: Muhammad Basil Oyoun al-Soud, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1419 AH, 1998 AD.
9-Al-Islam Bayn Al-Elm Wa Al-Madena: Imam Muhammad Abdo, Dar Al-Mada for Culture and Publishing: 2002 AD, i 1/1993 AD.
10-Al-Islam Da'wah 'Alamia, Abbas Mahmoud Al-Akkad, Dar Nahdet Masr, 9/2013 AD.
11-Amrad Al-Qalb Wa Shefa'uha, the author: Taqi Al-Din Abu Al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam bin Abdullah bin Abi Al-Qasim bin Muhammad bin Taymiyyah Al-Harani Al-Hanbali Al-Dimashqi (died: 728 AH), Salafi Press - Cairo, 2nd / 1399 AH.
12-Al-Bahth Al-Elmi Bayn Al-Asala Wa Al-Mo'asra: Dr. Abdullah Sammak, i. 1/ 1415 AH = 1994 AD.
13-Al-Bahr Al-Ra'iq Sharh Kanz Al-Daqa'iq, Zain Al-Din Ibn Najim Al-Hanafi, year of birth 926 AH / year of death 970 AH, publisher Dar Al Marefa, place of publication, Beirut.

14-Jami' Al-Bayan Fi Ta'wel Al-Qur'an, Author: Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Katheer bin Ghaleb Al-Amali, Abu Jaafar al-Tabari (died: 310 AH), Editor: Ahmed Muhammad Shakir, Publisher: Al-Risala Foundation, Edition: First, 1420 AH - 2000 AD.

15-Haqa'iq Al-Islam Wa Abatel Khusumuh, Abbas Mahmoud Al-Akkad, Egypt's Renaissance House, 2013 AD, without edition number.

16-Subul Al-Huda Wa Al-Rashad, Fi Serat Khair Al-Ebad, Wa Thikr Fada'iluh Wa A'lam Nubuwatuh, Actions, and Conditions in Principle and Resurrection, Author: Muhammad bin Yusuf Al-Salihi Al-Shami.

17-Al-Sera Al-Nabawia (Min Al-Bedaya Wa Al-Nehaya by Ibn Kathier), Abu Al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer Al-Qurashi Al-Dimashqi (died: 774 AH), Editing: Mustafa Abdel Wahed, publisher: Dar Al-Ma'rifa for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon, year of publication: 1395 AH - 1976 AD, part 1, p. 261.

18-Al-Sera Al-Nabawia by Ibn Hisham, author: Abd al-Malik ibn Hisham ibn Ayyub al-Hamiri al-Ma'afry, Abu Muhammad, Jamal al-Din (died: 213 AH), Editing: Mustafa al-Sakka, Ibrahim al-Abyari and Abd al-Hafiz al-Shalabi, publisher: Mustafa al-Babi al-Halabi and his sons library and printing company in Egypt, i 2 / 1375 AH = 1955 AD.

19-Al-Sahah Taj Al-Lughah Wa Sahah Al-Arabia, Al-Jawhari (d. 398 AH), 2nd Edition, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 1399 AH, 1979 AD, Edited by: Ahmed Abdel Ghafour Atta.

20-Al-Fawaqih Al-Dawani Ala Resalt Ibn Abi Zaid Al-Qayrawani, Ahmed bin Ghanem (or Ghoneim) bin Salem Ibn Muhanna, Shihab Al-Din Al-Nafrawi Al-Azhari Al-Maliki (died: 1126 AH), publisher: Dar Al-Fikr, Edition: Without edition, Publication date: 1415 AH - 1995 AD.

21-Qessat Al-Hadara, Will Durant = William James Durant (died: 1981 AD), presented by: Dr. Mohieldin Saber, translated by: Dr. Zaki Najib Mahmoud and others, publisher: Dar Al-Jeel, Beirut - Lebanon, Arab Organization for Education, Culture and Science, Tunis, Publication year: 1408 AH = 1988 AD.

22-Lisan al-Arab, author: Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwafa’i al-Ifriqi (died: 711 AH), publisher: Dar Sader - Beirut, Edition: Third 1414 AH.

23-Mugama' Al-Anhar Fi Sharh Multaqa Al-Abhur, Abd al-Rahman bin Muhammad bin Suleiman al-Kalibuli, called Sheikhi Zadeh, year of birth / year of death 1078 AH, Edited by Khalil Imran al-Mansur, publisher, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, publication year 1419 AH - 1998 AD, place of publication Lebanon / Beirut.

24-Magmo'at Al-Watha'iq Al-Seiaseia Lil'ahd Al-Nabawi Wa Al-Khelfa Al-Rashida, Author: Muhammad Hamid Allah Al-Haydar Abadi Al-Hindi (died: 1424 AH), Publisher: Dar Al-Nafais - Beirut, Edition: Sixth 1407 AH.

25-Ma'alim Al-Tanzel Fi Tafsir Al-Qur’an = Tafsir Al-Baghawi, Abu Muhammad al-Husayn ibn Masoud ibn Muhammad ibn al-Fara al-Baghawi al-Shafi’i (died: 510 AH), Editor: Abd al-Razzaq al-Mahdi, publisher: Dar Ehyaa Al-Turath Al-Arabi - Beirut, i. 1/1420 AH.

26-Mo'gam Al-Ta'rifat, by Sharif Al-Jarjani (d. 816 AH), 2nd Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Beirut, 1424 AH, 2003 AD.

27-Mo'gam Al-Mustalahat Al-Seiaseia Wa Al-Dawlia, d. Ahmed Zaki Badawi, first edition, Lebanese Book House, Beirut, 1410 AH, 1989 AD.

28-Mo'gam Mustalahat Al-'Uloum Al-Egtima'ia, d. Ahmed Zaki Badawi, 1st Edition, Library of Lebanon, Beirut, 1978 AD.

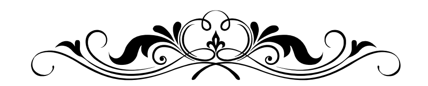
29-An article entitled Manifestations of Economic Domination, Alaa Abu Afifa.

30-Moqaowmat Al-Islam, Dr. Ahmed Al-Tayeb, Sheikh of Al-Azhar Al-Sharif, gift of Al-Azhar magazine, Shawwal 1442 AH, June 2021 AD.

31-Manahig Al-Bahth End Mufakiri Al-Islam: Dr. Ali Sami Al-Nashar, 3rd floor: 1404 AH = 1984 AD, Dar Al-Nahda Al-Arabiya – Beirut.

32-Manahig Wa Asalib Al-Bahth Al-'Elimi (Al-Nazarya Wa Al-Tatbeq): Dr. Rebhi Mustafa Alyan, Dr. Othman Muhammad Ghoneim, i. 1/1420 AH = 2000 AD, Dar Safaa for Publishing and Distribution, Amman – Jordan.

33-Manhagiat Al-Bahth Al-Elmi Wa Dawabituh Fi Al-Islam: Dr. Helmy Abdel Moneim Saber, The Call to Truth Series, Sixteenth Year, Issue: 183, The Muslim World League - Makkah Al Mukarramah 1418 AH.



فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	١٩٢٢
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	١٩٢٣
مناهج البحث	١٩٢٤
خطة البحث	١٩٢٥
التمهيد	١٩٢٧
التعريف بالمراد من عنوان البحث	١٩٢٧
المبحث الأول: المرتكزات الوجدانية للإخاء والسلام العالمي	١٩٣٢
المطلب الأول: وحدة النسب	١٩٣٣
المطلب الثاني: وحدة الدين	١٩٣٦
وحدة المصدر	١٩٣٦
وحدة الغاية والهدف	١٩٣٦
المطلب الثالث: تجريم الإساءة للأديان	١٩٤١
المبحث الثاني: المرتكزات الفكرية للإخاء والسلام العالمي	١٩٤٣
المطلب الأول: التصدي للعنصريات	١٩٤٤
المطلب الثاني: إغلاق باب التكفير وتفويض الحكم على العقائد لله تعالى	١٩٤٧
المطلب الثالث: تجريم الاحتلال وتقرير حق الشعوب في مقاومته	١٩٥٢
النقطة الأولى: الآثار المادية والمعنوية للاحتلال	١٩٥٢
النقطة الثانية: تقرير الحق في مقاومة الاحتلال	١٩٥٣
النقطة الثالثة: مقاومة المحتل من مجرد الحق إلى مرتبة الوجوب	١٩٥٥
النقطة الرابعة: وجوب مساندة المستضعفين	١٩٥٦
المبحث الثالث: المرتكزات الاجتماعية للإخاء والسلام العالمي	١٩٥٨
المطلب الأول: استبعاد الدين عن مجال الصراعات السياسية	١٩٥٩

النقطة الأولى: الخصومة باسم الأديان تتنافى مع أصولها ومقاصدها............. ١٩٥٩
النقطة الثانية: القرآن يثني على الأديان السماوية............................. ١٩٦١
النقطة الثالثة: مسجد الضرار نموذج لاستغلال الدين في الصراع................ ١٩٦٢
النقطة الرابعة: بين استغلال الدين وتفعيل الدين............................... ١٩٦٣
المطلب الثاني: احترام الخصوصية الثقافية وتقدير قيمة التنوع.................. ١٩٦٦
النقطة الأولى: مبررات التنوع... ١٩٦٦
النقطة الثانية: التطبيق الإسلامي لمبدأ احترام التنوع.......................... ١٩٦٩
النقطة الثالثة: بين عالمية الإسلام وعولمة الغرب.............................. ١٩٦٩
المطلب الثالث: شرعية التحالفات الدولية لتحقيق السلام........................ ١٩٧٢
المطلب الرابع: عدالة الإفادة من الثروات الطبيعية............................. ١٩٧٧
النقطة الأولى: التسخير العام للموارد... ١٩٧٧
النقطة الثانية: الوفرة الاقتصادية أفسدها الاحتكار ومشاريع الهيمنة............. ١٩٨٠
النقطة الثالثة: التكامل الاقتصادي بديل عن الاحتكار والسيطرة................. ١٩٨١
النقطة الرابعة: ملامح تشريعية لمجابهة الهيمنة الاقتصادية..................... ١٩٨٤
الخاتمة ١٩٨٧
أهم نتائج البحث.. ١٩٨٧
أهم التوصيات.. ١٩٨٩
المراجع.. ١٩٩١
الفهرس ١٩٩٩

